مِن مواقِف الشرفِ

للمجاهد الحاج أحمد معنينو



مؤسسة محمد حسن الوزاني

مِن مَواقِفِ الشرفِ

للمجاهد الحاج أحمد معنينو

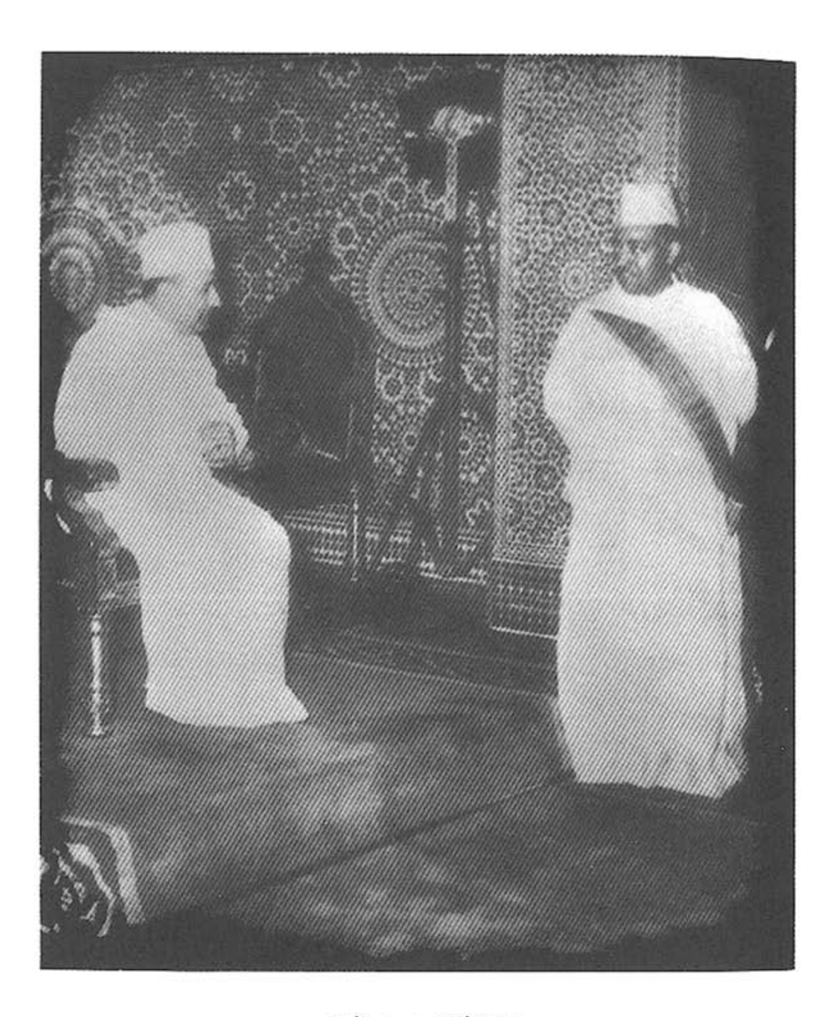
مِن مَوَاقِفِ الشَّرَفِ

للمُجاهِد الحاج أحمد معنينو

مؤسسة محمد حسن الوزاني

الطبعة الأولى
1997

مؤسسة محمد حسن الوزاني
9 - زنقة الدكتور فراج - فاس - المغرب



جلالة الملك محمد الخامس
وخليفته بتطوان الحسن بن المهدي العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

عاش الحاج معنينو حياة كلها كفاح ، منذ كان طفلاً صغيراً في الكتّاب يسير في مواكب الاحتجاج التي كان يقودها الشيوخ الواعون رواد الوطنية والحمية القومية بمسقط رأسه ضد بوادر الغطرسة والاستغلال التي أبداها المستعمرون في سنوات الحماية الأولى ، ولم يلبث أن أصبح يشارك بفعالية في تنظيم المظاهرات والإسهام فيها إلى جانب الوطنيين الشباب الذين كوّنوا في مدينة سلا نواة الحركة الوطنية ، تلك الحركة التي انتشرت بسرعة في كثير من المدن وحتى القرى . واشتهر الحاج أحمد معنينو بمقدرته الفائقة في قيادة المظاهرات وإلهاب حماس الجمهور بخطبه النارية ، كما اشتهر بصلابته في الحق وإقدامه في مواطن الخوف والفزع ، ومواجهته خصوم البلاد في مواقف مشهورة سارت بذكرها الركبان . سواء أثناء مقامه بسلا أو هجرته الطويلة إلى تطوان .

وقد ارتأى بعض أصدقاء هذا المكافح البطل أن يقتبسوا من مواقفه الشجاعة وخطبه الحماسية جملة صالحة ينشرونها بعنوان :

من مواقف الشرف
للمجاهد الحاج أحمد معنينو

وهي وإن اختلفت موضوعاتها وظروفها ومواقيتها فإن القاسم المشترك بينها هو ما نفيض به من حيوية وإخلاص وتفان في محبة الوطن والمواطنين . وذلك ما تؤكده الشهادات الملحقة من طرف أحد تلاميذه الأوفياء ، ورفيق له في الكفاح .

– 1 –

مواقف مشرفة

مع رؤوس أميركية وأوروبية وعربية مفكرة

تغمرني فرحة لا توصف وأنا أساهم في حفلٍ طالما تمنيّته . . . حفل تكريم من يأبى إلاّ مخاطبتي بقوله : «أخي وصديقي وولدي» ، إنه الحاج أحمد معنينو الذي مكانه عندي السويداء من القلب .

لقد عرفتُ الرجل منذ ثماني سنوات ، وكنت قد قرأت له قبلها ؛ كما قرأت له وعنه خلالها . ترددت على بيته طيلة الأعوام الثمانية المنصرمة ، فسمعت منه وعرفت عنه الشيء الكثير ، مما لا يستوعبه بحث أو كتاب ! ولكنِّي سأشير إلى بعض ما أعجبني في الرجل ولو في عناوين ، قبل أن أبرهن على شيءٍ من ذلك بالتفصيل .

لا يمكن لمن يعرف الحاج أحمد معنينو حقّ المعرفة . إلاّ أن يرى فيه نموذجاً رائعاً للمؤمن المعتز بإيمانه بالله . . . وبلغة كتاب الله ؛ والرجل الشجاع المقدام الذي لا يخشى في الله لومة لائم ؛ والسياسي المحنّك ؛ والمجاهد الفذ ؛ والخطيب المفوّه البليغ ؛ والوطني المخلص الذي يحب بلاده حباً قل «نظيره» والمعلم الذي يقدس رسالة التعليم ؛ والعالم المعطاء الذي يقدر العلم والعلماء ، ويعطف على طلاّب العلم فيمنحهم ثقته ووقته ونفائس مدخراته دون أن ينتظر جزاء من أحدٍ ولا شكوراً ؛ والباحث المُجِدّ الذي يعشق القلم والقرطاس ، فيجد راحته بين رفوف الكتب ، ويُبصر بحدّة عندما ينظر في صفحة من كتاب أو مجلة أو صحيفة ، ولو كان عائداً للتو من المستشفى على إثر عملية جراحية على إحدى عينيه !

لا أظن أحداً ـ ممن يعرفون الحاج أحمد معنينو ـ يتّهمني بالمبالغة ومع هذا ، سأحاول البرهنة على بعض ما قلت ، من خلال سرد العديد

من مواقف الرجل ، التي أراها جديرة بالتخليد ، لأنها تشرفه وتشرف بلاده ، كما تشحذ همّة كل من يهوى المسير على نهج الكبار .

إنها مواقف تناهت إلى علمي بطرائق شتّى ، فألححتُ على صاحبها ـ بمناسبة هذا الحفل التكريمي ـ أن يعيد عليّ سرد بعضها ، بالقدر الذي يسمح به وقته ، فلبّى رغبتي مشكوراً فتكونت لديّ حصيلة من أكثر من عشرة مواقف ، مع شخصيات أمريكية وفرنسية وإسبانية ومصرية ومغربية .

محمد المرشد



الحاج أحمد معنينو ومحمد المرشد في رحاب جامعة محمد الخامس بالرباط

الموقف الأول

مع القنصل الأمريكي بالرباط عام 1952

الموقف الأول
مع القنصل الأمريكي بالرباط عام 1952

امتنعت السفارة الأمريكية بالرباط ، عام 1952 ، عن منح تأشيرات السفر لأعضاء المكتب السياسي لحزب الشورى والاستقلال . قصد الذهاب إلى الأمم المتحدة للدفاع عن القضية المغربية : وأمام تصلُّب السفارة المذكورة بالامتناع عن الموافقة ، تكونت لجان من رجال الحزب ، منها لجنة في مدينة الرباط أُسند الكلام فيها باسم الحزب وباسم المغرب إلى الأستاذ معنينو ، فجرى بينه وبين القنصل السيد . . . . . الحديث الآتي : ج معنينو : يا سعادة القنصل .

أولاً : إنكم في غلطٍ ، وأمام غلطكم هذا ستحرجُوننا لمقاومتكم . ورغم ما لدى أمريكا من قوة بحرية وجوية وأرضية نستطيع أن نحاربكم وننتصر عليكم ، ذلك أنه يوجد لكم في أرض المغرب عدة قواعد : بالقنيطرة ، سيدي سليمان ، ضواحي مراكش . . . الخ . وهذه القواعد توجد بها أدوات الفتك والصواريخ . والبنزين وما إلى ذلك من أدوات الحرب ، وفي استعدادنا أن نمطر هذه القواعد ببعض المستخدمين فيها تابعين لنا ، وأن يشعلوا فيها النيران فتحترق بما فيها ، ولقد جربتم يا سعادة

القنصل موقفنا من محاربة كوكا كولا وبيبسي كولا !؟ .

ثانياً : ليكن في علمك ، إن لم تكن تعلم ، أن للمغرب ديناً «في عنق أمريكا ؟ إذ دولتنا المغربية الفتية في عهد محمد بن عبدالله سلطان المغرب هي الدولة الوحيدة التي آزرت الدولة الأمريكية ضد الاستعمار الإنجليزي ؛ وساعدتها بكل ما تستطيع واعترفت بها ، وهذا الدين لايزال في عنقكم ؟

ثالثاً : عليك أيها السيد الجليل أن تعتبرني والأستاذ ابن سودة فوضويين ، أما الأستاذ بوطالب والأستاذ العراقي فهما شيوعيان لأنهما من القرويين ، والقرويين مركز شيوعية ، وجلالة ملك المغرب محمد الخامس اختار بوطالب هذا الشيوعي وجاء به لقصره ومكّنه من أولاده ليلقنهم الشيوعية !؟ أما أنا المتكلم معك فأمريكي بطبيعة الحال ما دمتُ موجوداً في سفارة أمريكا لأن كل من دخل بيتاً لأحد يُنسب إليه ، كذلك محمد الشرقاوي دخل بيت «بيتان» (عندما كان رئيس الدولة المنهزمة ! فرنسا) فأصبح في نظركم «بيتاني» أما بنجلون فلكونه تزوّج بسيدة يهودية أصبح في نظركم يهودياً !؟

رابعاً : أعرب لك عن أسفي الكبير ، وذلك أن فرنسا عدوة المغرب المحتلة له والجاثمة على صدره ؛ والتي نحاربها بكل ما نستطيع ، أعز إلينا من أمريكا ، وألطف في المعاملة منكم ، ذلك أنها تسامحت معنا وطبعت تأشيرات السفر على جوازات أصحابنا كي يحضروا دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة التي انعقدت بفرنسا سنة 1951م ، بينما أنتم تمنعوننا من التأشيرة للسفر إلى المنتظم الدولي في أمريكا ! نحن لم نأت إليكم لنطلب

منكم السلاح لمقاومة فرنسا ، أو المال لمساعدتنا في الكفاح ، أو الجيش الأمريكي ليساعدنا ، فكل ما طلبناه منكم تأشيرة على الجواز ، فامتنعتم ، وهذا عين العجب !؟

وزاد الأستاذ معنينو قائلاً أشياء وأشياء ولكن نكتفي بما ذكر .

فقال سعادة القنصل : أرجوك يا سيد معنينو أن تعرب عما تريد مني أمام هذا الهجوم الذي صدر منك وتقبلتُه بصدر رحب !

فقال له : يا سعادة القنصل ، نحن أمام أمرين :

الأول :أن تؤشروا على الجوازات ، وننتهي من كل هذه المشاكل .

الثاني :أن تمتنعوا وعندها سنحاربكم . وللك أن تُعلم الحكومة بإلقاء القبض عليّ . هذا لا يضر ؟ فالمسائل ستسير سيرها الحثيث ، والنتائج ستكون حميدة وستخلق في العالم ضجة وأثر فعّال ومردود حتى في أمريكا نفسها ! فيتعرّف وزير خارجيتها على أن المسؤولين الأمريكيين الموجودين في المغرب غير صالحين لمسايرة الشعب المغربي ولخلق جو من التجاوب بين المغرب وأمريكا ؛ اعترافاً من الأمريكان بما للمغرب عليهم من دين ؟

وهنا استجاب القنصل وقال : إنني سأضع التأشيرات على الجوازات فطب نفساً وقرّ عيناً !

وصدر الإذن للقاهرة ليُسمح لمحمد بلحسن الوزاني بالسفر . وفي الغد وردت على الحاج معنينو رسالة من القنصل تقول باللفظ : «إن التأشيرات منحت لشخصين» . فأجاب عنها برسالة تقول : أرجوك

سعادة القنصل أن تعذرني وتسامحني وتتجاوز عمّا صدر مني ساعة كنت غضبان ، وأرجوكم أن تتمّوا التأشيرات لباقي الجوازات ، وشكراً .

الموقف الثاني

مع مسيو ماط ، الفرنسي الشهير

الموقف الثاني

مع مسيو ماط ، الفرنسي الشهير

يتعلّق الأمر هنا بحديث جرى بين الحاج معنينو وبين موظف فرنسي سام جمعته الأقدار به في سفره إلى سوق أربعاء الغرب ، هو المسيو ماط ، الشهير الذي يعرفه المغاربة ويعرفون أدواره وخدماته الجلّي في بلاد المغرب . . . إلى نهاية القصة المأساة ! ذلك أن سائق السيارة التي كان يركبها معنينو من سلا إلى سوق أربعاء الغرب (ويسمّى مسيو ميشيل ، ايطالي الجنسية ، وهو سكير قمير) قرأ في بعض الصحف أن معنينو أقفل مع صديقه محمد حصار سنة 1934م عشرات الخمارات بمدينة سلا في يوم عاشوراء ، احتجاجاً على تهاون المستعمرين وتسامحهم في إنشاء الخمارات وسط المجتمع المغربي المسلم ، فكان يشمئز من عمل معنينو ، وكلما ركب عنده يوم الأربعاء ليحضر إلى سوق أربعاء الغرب قصد ترويج تجارة والده وعندما تتجاوز السيارة مدينة القنيطرة ، يصيح كل مرة :

معنينو سيدك المعمر !

معنينو للاّك مدام المعمرة !

ويستهزيء به ، ويُكثر عليه من اللَجج ، حتى يضيق ذرعاً من كلامه ويقلق ويرفع صوته بسببه ولعنه فيقهقه ! ؟

ومرة ركب الحاج معنينو ـ صدفة ـ جوار مسيو ماط الذي لم يكن

يعرفه ، وهو بلباسه المدني ويتكلم بالعربية الفصحى . وعندما هاجمه مسيو ميشيل كعادته . وأكثر عليه ، ألقمه حجراً وأسمعه ما لا يصح أن يصرح به الآن فما كان من مسيو ماط إلاّ أن قال مخاطباً معنينو : «هدِيء نفسك ، إن شأن هذا الأحمق السكير لا يصح لك أن تردّ عليه ، إنك لست من أمثاله» . فأجابه : «إن الرجل الخبيث الطبع يؤثر عليَّ بقوله سيدك المعمر ! وللآك مدام المعمرة ، وإنني أجول بعيني في هذه الأطراف وفي هذا الطريق الذي أسير فيه فأجدها حقيقة انتقلت بين عشية وضحاها لأيدي المعمرين والمعمرات ، وأُحرم أهلها من خيراتها ؟ ومن حياة الرغد ، وذلك أن الفرنسيين هجموا على مغربنا ليستعبدوه ، وعلى أموالنا ليستفيدوا منها ، وعلى أملاكنا ليتبنوها وتصبح في أملاكهم ، وعلى رقابنا لنصبح عبيداً لهم» ، وكلام من هذا النوع .

فقال ماط : أيها الأخ عرفني باسمك ؟

فأجابه : يا سيدي ، قبل أن أعرفك باسمي عرفني باسمك أنت !

فقال : أنا مسيو ماط !

فأجابه : أنا مسيو أحمد !

فقال : أتمم النسب !

فأجابه : إبدأ بنفسك !

فأتم مسيو ماط اسمه أولاً ، ثم تبعه معنينو .

استأنف مسيو ماط الحديث بقوله : إن ما قلتَه شيءٌ يسيء في الجملة ، ولكنك لم تذكر حسنات الفرنسيين في المغرب ! ألا تعرف أن هذه الطريق التي تسير فيها السيارة ، والأسلاك الكهربائيـة الممتدة ، والأسلاك

التليفونية ، وكثير غير هذا ، هي من خدمات الفرنسيين في المغرب ؟

فقال له : إن هذه الطرق والكهرباء والتلفون إنما ينتفع منها المعمرون ؟ ومن أجلهم أُنشئت ؟ فالمغاربة ليست لهم سيارات ، وبيوتهم لا تضاء بالنور الكهربائي ، ولا يوجد بها تلفون ، فهو ذاك المثل المغربي الثائر : «الغرامة بالخدام ، والتبراح بللاها ؟» .

فأجابه : إنك إنسان خطير ، ووجودك في سوق الأربعاء أخطر ! وأنا ذاهبٌ إلى سوق الأربعاء كمراقب ؟ فعليّ أن أمنعك من الحضور إلى هذا السوق !

فردّ عليه : هذا أمر بسيط ، وهو سلوك الفرنسيين جميعاً . افعل ما بدا لك ، فإننا مستعدون لكل الأحداث ، ومتحملون لكل النكبات في سبيل كرامة بلادنا وأمجادها .

فتراجع مبتسماً وقال : إنكم أيها المغاربة عفاريت ورجال أبطال في كل اليادين : الاقتصادية والاجتماعية والحربية !

فقال له معنينو : المثل المغربي يقول «بلادنا لا يطلع فيها الفجل» . ولو كنا كما تقول لما استطاع الفرنسيون أن يحتلّوا بلادنا ويسترقوننا في عقر ديارنا !

فقال مسيو ماط : إنني مستعدٌ أن أبرز لك أمثلة تؤيد أقوالي خُذْ مثلاً : عدة أشخاص من سوس الأقصى يسكنون في الفيافي في الصحراء ، لم يتعلّموا ولم يتعرّفوا على العالم ، بلغ سنهم نحو العشرين سنة ، يجتمعون في أطراف الخيام : ويتبادلون الأحاديث فيما بينهم ، فيذكرون بعض أفراد القبيلة الذين كانوا مثلهم فقراء لا يملكون قوت يومهم ، نزحُوا لأرض

المغرب واشتغلوا فملكوا الأموال وأصبحوا من التجار ؟ فقرروا السير في هذا الطريق . وفعلاً انتظم منهم جمع فيهم ستة أشخاص ، بلباسهم التقليدي (الخيدوس) والنعال ، يحملون في جانبهم شيء من الشعير المطحون وقربة صغيرة من الماء ، واعتمدوا على الله وقالوا باسم الله مجراها ومرساها ! فأخذوا الطريق على أرجلهم ، فقطعوا الفيافي والقفار ، ومروا بالأراضي المليئة بالحيوانات المفترسة لا يرعوون ولا يخافون ولا ينزعجون ! بلغوا مدينة مراكش وشاهدوا أسوارها ودورها من بعيد ، فأصبحوا يقولون : حُرمايَنَّكْ حرمانيك سيدي بلعباس ! وعندما نزلوا المدينة كانوا ينظرون بأعينهم كأعين السيارة الممتدة بالضوء الكثير ؟ رأى أحدهم صديقاً له في الدكان ، فتقدم إليه مسلماً وقص عليه قصته ، وأخبره عن القبيلة من مات فيها أو عاش أو غني أو فقر ، بحيث أخبره بكل المستجدات ، ثم قال له إنني أتيت بقصد الخدمة والبحث عن رزق أكتسبه بعرق جبيني ! فمنحه كسرة خبز وشيئاً من الزيت أو الزيتون . وتقبل ذلك بالشكر ، وتركه جالساً في باب الدكان . وراح إلى السوق فاشترى قدراً من القصدير ونصف قنطار من الفول وبعض الأعواد للنار ، ورجع لصاحبه فأخذه بيده إلى أحد الفنادق وأصبح يطهي ذلك الفول طيلة الليل . وفي الصباح الباكر كان الفول مطهياً ؟ ، وقد اشترى له قفة كبيرة ملأها بهذا الفول ، ومكنه من كأس قصدير ، وقال له بالسوسية «يان الصولدي» أي واحد بقطعة تسمى الصولدي . فإذا قيل لك زد مجاناً زده يان (أو سن) من الفول ! وهكذا حمل القفة بثقلها على رأسه وأصبح يجول في مدينة مراكش ويصيح : «طايب وْهاري» «سخُونْ» ويلتقط الصوالدة والقروش . أفطر

من ذلك الفول . وتغذى منه وتعشى منه أيضاً . وفي المساء رجع عند صاحبه بما جمعه من الدراهم بأمانة فمكنه من المال ، فحسب صاحب الدكان ونزع منه ما دفع وجعل الربح بينهما نصفين ، وضع نصفه في جيبه ، ونصف صاحبه في مكان : وصار يعمل ليل نهار لمدة شهرين أو ثلاثة ، وتعرف على المدينة ، وأصبح يتكلم بالدارجة ويعرف بعض الألفاظ الفرنسية ، فقال لصاحبه : لقد مللتُ هذه الحرفة وأودُّ فتح دكان . وفعلاً ساعده واكترى له دكاناً وأصبح يبيع الفحم وعود الثقاب والغاز . وما إلى ذلك ، ولايزال عليه الخيدوس الأصلي والنعال . لم يترفَّه في المأكل ولا في الملبس ولا في النوم ولا في المسكن ، وكل ما أنجزه من الربح أصبح رأسمال . وبعد عام تقريباً تطاول الرجل لإنشاء «بيسري» في الأحياء الأوروبية ، فأصبح أحد التجار في المدينة الأوروبية . هذا عمل الأول . أما الجماعة التي فارقها فقد ركبت إلى الدار البيضاء ، وفي الطريق وقفت السيارة فوجد أحدهم صديقاً له يشتغل بـ (تكسير الأحجار) في ا لطريق ، فعرض عليه العمل فنزل معه ، وأصبح يكسر الحجر . وبعد مدة أصبح يساعد المهندس في حمل المقياس «السنتيم» وتمهيد الطريق وهندسته ! وبعد شهرين أو ثلاثة أصبح ينوب عن المهندس إذا تأخر ، فيصلح الطريق ويهندسها كما ينبغي ! أما الآخرون فواصلوا سفرهم إلى الدار البيضاء ، وفتشوا عن أعمال ، فانخرط كل واحد منهم في ناحية : واحد أصبح (جريسون) في شركة ستيام ، وواحد توظف في قطاع المياه ، وآخر في قطاع الضوء وآخر في قطاع السكك الحديدية . وبعد عام تقريباً أصبحت المدينة تحت رحمة هؤلاء : الجريسون سائق ممتاز وظفته الشركة ؛ صاحب المياه هو الذي يطلق الماء في

المدينة أو يمنعه ؛ صاحب الضوء هـو الذي يشعـل الضوء في المدينة أو يطفئه ، صاحب القطار هو الذي يسيره أو يوقفه ؟

وفوق كل هذا ـ يضيف مسيو ماط ـ وقعت الحرب العظمى ، وتبارت فيها دول العالم ، فكان الجندي المغربي هو البطل الأول بين الدول ، فعندما يحضرفي المعركة ويلٌ لمن يقابله ، فهو البطل في المعركة .

ثم تساءل : أتقرُ أن هذا وصفٌ من أوصاف المغاربة ؟ أم إنما مدحتكم جزافاً وتهكُّماً ؟

فأجابه معنينو : إن هذا حق ، والمغاربة وبالأخص الأرياف ، سوس والأطالس لهم همم عليا ، يستطيعون بكدهم وتعبهم أن يبلغوا مراتب عليا في المال والكسب الحلال . إنه من الكد والتعب .

وهكذا سارا ـ الحاج معنينو والمسيو ماط ـ يتبادلان . الرأي ، وصفا الجو بينهما ، وتقاربت الاتجاهات بينهما ، فقال مسيو ماط : أنا سعيد بلقياك ، لأنني قادم إلى حكم قبيلة في الغرب ولا أعرف بماذا أستطيع أن أقودها إلى الخير ، فعليك أن تزودني ببعض الاتجاهات الفكرية أو العملية التي أتمكن بها من جلب قلوب السكان والتعاون معهم على الأمن والطمأنينة والرفاهية في الجملة !

فأجابه : يا سيدي ، إنك تعلَّمت في المدارس ودرست أحوال الشعوب ، ولم تبلغ هذه الرتبة إلاّ لاستحقاقك لها ؟ فأنت مزوَّد بالمعلومات من رئيسك ، فهي التي تمنحك طريق معاملة الناس !

فقال : نعم ، تلك مسائل الإدارة . ولكني أريد أن أتغلب على كل المشاكل بصنع الأشياء التي تقرب القلوب من الدولة .

تلكأ معنينو وقال : هذا شأنك .

فأكد عليه طالباً راغباً أن يزوده ببعض التوجيهات .

فقال معنينو : إن سوق أربعاء الغرب يحضره نحو مائة ألف نفر ، والقرية يستقر بها نحو العشرة آلاف نفر . وكل هذا الجمهور لا توجد مدرسة لأبنائه ؟ فكل ما أعرفه في سوق الأربعاء بيت مظلم في أحد الفنادق يسمى مدرسة ، عليها إزار أسود وبها نحو العشرة تلاميذ ، فلو كانت فرنسا جادّة لفتحت المدارس لأبنائنا !

فأجاب مسيو ماط : يا أخي ألا تعرف أن البَدو يمتنعون عن إرسال أبنائهم إلى المدرسة ؟ إنهم يستغلونهم في الخدمات ، رعي المواشي ، فلاحة الأرض ، والأعمال الشاقة !

فقال معنينو : ذلك شأن سكان الخيام ؟ أما القرية فلا حرث فيها ولا ماشية . وأبناء السكان في القرية يبلغون المئات من الأطفال كلهم شاردون في الشارع ؟

فأجاب : إن الآباء لا يرغّبون أبنائهم في المدرسة .

فردّ عليه : واجب المراقب الحاكم أن يلزم السكان أن يدخلوا أبناءهم إلى المدرسة . ومن امتنع منهم يسجن ! فتعجب مسيو ماط وقال : يسجن ؟ فأجابه : نعم . وسكت !

ثم قال مسيو ماط : نبهني لحاجة ثانية .

فأجابه : يا سيدي ، إنني لست لك رئيساً ، ولستَ لي خادماً حتى آمرك بما تفعل . أنت مزود من حكومتك بكل ما تفعل ، فعليك أن تنفذه ؟

فقال : إن الحاكم الحكيم هو الذي يستطيع أن يخلق جواً من التبادل

والتعارف والتعاون في ميدان المصلحة العامة . ولهذا أرجوك أن تزيدني شيئاً .

فاستجاب معنينو قائلاً : إن القضية التي خطرت في بالي لا تهمك ، لأنك نصراني وهي تتعلّق بالإسلام ؟

قال : وما هي ؟

قال : مسجد . إن القرية على سعتها وكثرة سكانها لا يوجد بها مسجد ، وسكّانها كلهم مسلمون . ولقد بلغني أن أرضاً وُهبت أو اشتُريت لبناء مسجد ، ووقع اتفاق بين القواد والشيوخ أن يجمعوا صدقة الزكاة في كل سنة لإقامة المسجد . وهذه أربع أو خمس سنوات تمرُّ والمسألة في سكوت وغموض ! وفي كل سنة يحصل القواد والشيوخ على الشيء الكثير من الزكوات والتطوعات ، وأظن أنهم يأخذون ذلك لأنفسهم ، وأن هذا المسجد لن تقوم له قائمة . إنهم من أهل الطمع والجشع !

فقال مسيو ماط : زدني .

فقال : ماذا أزيدك ؟ إنني أكتفي بما قلت .

فأكد عليه .

فقال : هذه قضية تتعلّق بشخصك .

قال : وما هي ؟

فأجاب معنينو : إنك قادمٌ إلى سوق أربعاء الغرب ، وستجد في استقبالك القواد والخلفان والشيوخ وأعيان القبيلة ، وكلهم مزودون بالهدايا لشخصك والترحيب بك . وعندما تقابلهم وتتقبل هداياهم ستنسى كل ما جرى بيني وبينك ؟

فقال له : أشكرك ، وأرجوك أن تزورني في الأربعاء الآتية .

فأجابه : يا سيدي ، إنني أركب في السيارة إلى السوق وأرجع منها إلى بلدي ، ولا قدرة لي على زيارة القرية والحضور عندك ، للبعد وشدة الحرارة .

فقال : سأبعث لك بسيارة لتحملك عندي .

فأجابه : لا داعي لذلك .

وفي السوق المقبل تعرض للحاج معنينو أحد التجار أصحابه وأَسَرَّ في أذنه قائلاً : (إن المخازنية يبحثون عنك ، وأصحابك يقولون : ادفع إليّ الحساب والسلعة أذهب بها إليهم ، وابقَ أنت هنا حتى ترجع لبلدك لئلا يُقبض عليك) . ففهم معنينو ، وأرجعه لمكانه ، وحضر السوق . وبمجرد نزوله من السيارة وقف أمامه مخزني ورفع يده بالسلام ، وقال له : مسيو ماط في انتظارك ؟ ويؤكد عليك بالحضور ، ويرجوك ألاّ تتأخر .

وفعلاً عندما فرغ من الحساب مع أصحابه حمَّل نفسه تعباً . ونزل إلى القبيلة القريبة وعندما قرب من المحكمة ، وجد ذلك المخزني ينتظره ، فصحبه ، وعندما بلغا لباب مقر الحاكم ، رفع صوته بكلمة فرفع الجنود سلاحهم تحية للحاج معنينو الذي اندهش من هذا الاستقبال ، وما كاد يدخل المقر حتى وجد جمهوراً كبيراً من السكان في الانتظار ، قواد وخلفان وشيوخ وأعيان . . . ، فتقدّم إليه مسيو ماط ، فسلِّم عليه وعانقه ، وسط تصفيقات الحضور ، وكأن معنينو حاكم عليهم ! ويصف هذا الأخير شعوره آنذاك بقوله : كادت الأرض تهوي بي من هذا المنظر الذي لم يسبق لي أن عرفت مثله ؟

وبعد هنيهة قدم إليه مشروباً ، وقال له الحاكم : أرجوك يا سي معنينو أن تخبرهم بما قلته لي في الطريق ؟ فامتنع . وقال له : إن ذلك كان مجرد

حديث بيني وبينك ولا داعي لإفشائه وإعادته ! فارتفعت أصوات ، (نرجوك يا سي معنينو أن تكلمنا وتحكي لنا القصة) ، فقال لهم :

إن مقابلتي مع مسيو ماط جرى فيها بيني وبينه حديث طويل ، وكان في آخره طلبه مني أشياء تفيد هذا المجتمع ، وتقربه منكم ، فذكرت له ثلاثة أشياء هي :

أولاً : المدرسة : حكيت له ما هي عليه المدرسة الموجودة ، وأنبته ، وقلت له إن فرنسا لم تعمل أيَّ شيء ، وطلبت منه أن يفتح لأبنائكم مدرسة .

ثانياً : المسجد : ذكرته بإنشاء مسجد في القرية ، وعرَّفته بأن أرضاً قد وُهِبَتْ ، وطلبت منه متابعة الأمر بنفسه !

وهنا تسابق الحضور يرفعون أصواتهم ، كل واحد يقول عندي كذا وكذا من الشعير أو الذرة أو الدراهم ! فأمر مسيو ماط أحد الكتاب أن يكتب ـ حالاً ـ في ورقة كل ما عند هؤلاء الناس واحداً واحداً ، وقال : إنه سيشرع في بناء المسجد قريباً !

ثالثاً : قلتُ إنك عندما تحضر للقرية ، سيستقبلك جمهور كبير من القواد والشيوخ والخلفان . . . الخ ، وسيقدمون لك الهدايا فتنسى كل ما جرى بيني وبينك .

وهنا قال مسيو ماط بصوت مرتفع : أخبركم أيها الحضور أن أي واحد منكم يأتيني بهدية أبعث به إلى السجن .

هذه ملحمة مع هذا الفرنسي المشهور بمواقفه وسياسته التي لا يمكن التعبير عنها إلاّ بالخزي واللعنة !

الموقف الثالث

في مظاهرة بسلا عام 1936

الموقف الثالث

في مظاهرة بسلا عام 1936

أقام الوطنيون مظاهرة عظيمة موحدة من وجدة إلى مراكش في يوم معين ووقت معين من عام 1936م ، وكان نصيب مدينة سلا مظاهرة صاخبة ترأسها معنينو . وكان يوجد بسلا قاضٍ شرعي يلعب بالحديد والنار ، اتفق مع المراقب المدني ليُصلح معه أحواله ، وقال له إنه (أي القاضي) مستعدٌ لوقف الوطنيين في هذه المدينة ! ولكن المتظاهرين تحدوه ، رغم أنه أقفل المسجد الأعظم ! وجعل عليه حرساً ليمنعهم من الدخول إليه ، فذهبوا إلى مسجد سيدي أحمد حجي في السوق الكبير بمدينة سلا ، واجتمع حولهم سكان المدينة وحتى النساء ربات الخدور . وجاء السيد القاضي بنحو أربعين مخزنياً له ليقاوموهم ويقبضوا عليهم ، ولكنهم كانوا قد اتخذوا اجراءات لحماية أنفسهم بشباب الحِرَف ، من الشباب الحي ، وحيّا الله الشباب ، وحيّا الشعب الذي يتضامن ساعة الشدة مع المخلصين لبلادهم ؟

عندما حضر سعادة القاضي إلى المسجد لكي يقاومهم ، وجد القوة فوق قوته ، وتيقن أنه لا محالة مغلوب ، فلم يُبدِ كلمة ! وهكذا استطاع المتظاهرون أن يقضوا على أعوانه وأصحابه ! فبعدما قرأ المتظاهرون القرآن ،

وصلّوا ، وخطب معنينو فيهم مطالباً بالصحافة والحرية ، خرجوا للشارع في مظاهرة صاخبة !

وفي الطريق قابلهم «كوميسير» فرنسي بقليل من الحرس معه ، فتوقفوا لاستقباله . فتساءل عن رئيس المظاهرة فأجابوه ، إنه معنينو ، فقال : ماذا تقولون ؟

فأجاب الحاج معنينو : إننا نطالب بالحرية والصحافة .

وكان هذا الرجل من الأحرار الفرنسيين فقال : إن المطالبة بالصحافة والحرية كالمطالبة بالماء والخبز . في فرنسا ، لكن الذي أخشاه أن يقع تلاعب من بعض الخدّاعين فيرتكبون الإجرام ويقطعون عنكم الطريق .

أجابه معنينو ، يا سعادة «الكوميسير» ، إننا مستعدون لتحمل كل المسؤوليات ، بشرط واحد هو إيقاف القاضي الذي يتبعنا بسيارته ، ويأمر أصحابه بإقامة الفتنة بيننا وبينه ، فإذا أوقفته عنا فأنا أتحمل كل المسؤوليات وكل ما يقع .

فرجع «الكوميسير» إلى الوراء وقابل القاضي قائلاً : سيدي ، إنني أحرس الأمن في الشارع ، وأرجوك أن تذهب لحال سبيلك . فما وسع إلا الرجوع لحال سبيله .

حينئذ رفع المجاهد ج . معنينو على رؤوس القوم ، فصاح قائلاً : يحيي سعادة الكوميسير الحر ، ويسقط القاضي الخائن ؟

ولقد حوكم على ذلك بستة أشهر سجناً .



الحاج أحمد معنينو بين المرحوم عبد الرحيم بو عبيد على اليمين
وابي بكر القادري على اليسار.

الموقف الرابع

في المحكمة العسكرية بالدار البيضاء عام 1953

الموقف الرابع
في المحكمة العسكرية بالدار البيضاء عام 1953

عندما مثل المجاهد الحاج أحمد معنينو أمام قاضي البحث في المحكمة العسكرية بالبيضاء عام 1953 بسبب قضية المغرب الكبرى (20 غشت) خاطبه القاضي قائلاً : إنك أمرت أصحابك بقطع أسلاك التلفون !

فردّ عليه : يا سعادة القاضي ، ماذا يُجدي قطع التلفون ؟ كان في إمكانك أن تقول لي أمرتهم بقتل المقيم العام ! أو أحد الرؤساء الكبار ، لتشفي غليلك من خصمك العنيد !؟

فقال : إنني أسألك سؤالاً : أن تقارن لي بين محمد الخامس ومحمد بن عرفة ؟

فأجاب معنينو : يا سعادة القاضي ، إن سؤالك في محله ! إن فرنسا هي التي عينت محمد الخامس ملكاً على المغرب في عهد شبابه ، وقد سلك مسلكاً قويماً طيلة وجوده في الملك ، وقد مرت عليه خمس وعشرون سنة في الملك . تعلم خلالها سائر الأحوال ، الدبلوماسية والعلمية والوطنية والاقتصادية ، وأصبح رجل الساعة . ولقد استقبل رئيس جمهورية فرنسا ! ورحّب به وقابله بما يليق من دبلوماسية ولطف ومكارم الأخلاق . أما السيد محمد بن عرفة الذي وقع اختياركم عليه ملكاً ، فهو

من العائلة الملكية نفسها ، وله حق تولي الملك ، ولكنّه رجل كبير السن ، أمِّي ، لا يفهم السياسة والدبلوماسية ، ولا الاقتصاد ولا الاجتماع ، ولا معرفة له بالشعب ولا بالحكومة الحامية ! شأنه أن يركب حماره ويذهب لفلاحته . ويقضي الوقت في سبحته وكفى ! فكيف بكم تنصبونه ملكاً على المغرب . يؤيده الطائشون المتلاعبون ! الذين يتقربون إليكم قصد قضاء أغراضهم الخسيسة ؟ فرق كبير بينه وبين ملكٍ مهذب وعالمٍ ومجرب ومفكر ؟

قال القاضي : إنك تطنب في مدح محمد الخامس .

أجابه ، إن محمد الخامس لم يعطني أجرة لأمدحه ، ولكنني عشتُ تحت حكمه وعلمتُ حسن تصرفه طيلة حياتي ، فمن واجبي أن أقر بفضله . والسيدالثاني لا أحسده ولا عداوة بيني وبينه ، وإنما المصلحة العليا للبلاد تقتضي أن نفرق بين الحق والباطل ؟

قال القاضي : محمد الخامس وعبدالحي الكتاني ؟

فأجابه : عبدالحي الكتاني من الأسرة الشريفة الإدريسية ، وحري به أن يكون ملكاً على المغرب ، ويتوفر على معلومات وقيمة شخصية عظيمة ، والأدارسة أقرب إلى الملك من العلويين ، ولكن فيه عيباً واحداً هو الذي جعلنا نتبرأ منه ، ونبتعد عنه . ولا نقبل الكلام معه ، وعيبه هو امتزاجه وتعشقه الفرنسيين ، فلو لم يكن متقرباً لكم ويداً يمنى لكم ؟ لقبله المغاربة ملكاً ، أما محمد الخامس فقد قلت لك ما عرفت عنه .

قال القاضي : محمد الخامس والتهامي الكلاوي ؟

أجابه معنينو : يا سعادة القاضي ، لا معنى لمقابلة حرطاني ظالم ! لا

قيمة له علمياً ولا عملياً ولا اجتماعياً مع شخصية محمد الخامس الملك الرفيع الشأن ! إنكم غالطون ومغالطون حيث تعتقدون أن التهامي الكلاوي شخصية لها قيمتها في أرض المغرب ، وهو كما تعرف عندما يدخل لأحد البيوت تكون عليه حراسة من شتى الجهات خوفاً على حياته ! أما محمد الخامس ، الذي تريد أن تقابله بهذا الحرطاني ، فهو الذي سلك في المغرب مسلكاً رشيداً ، وطمأن المغاربة والسكان جميعاً ، ومن ضمنهم الفرنسيون على حياتهم وطمأنينتهم ! فأنت أيها القاضي عندما كان محمد الخامس ملكاً على المغرب يذهب كلبك فيقابَل بالاحترام ، بينما الآن وقد أبعدتموه عن الملك فإنك قاضي التحقيق في المحكمة العسكرية ولا تستطيع أن تخرج لباب المحكمة ، لئلا يغتالك المغاربة . إنكم فرطتم وابتعدتم عن الطريق بما ارتكبتموه من الإساءة إلى المغرب ، وعلى نفسكم جنيتم ، فالمغاربة قرروا مقاومتكم ومقاومة صنيعكم حتى تردّوا المياه لمجراها ، أو يهلكون جميعاً . فنحن وأنتم في تناقض . نحن نريد برئاسة محمد الخامس أن يكون المغرب مغرباً وفرنسا فرنسا ، وأنتم تريدون أن يكون المغرب قطعة من فرنسا ، وهذا ما لا يرضاه المغاربة ، وهم لكم بالمرصاد ، يحاربونكم ويقاتلونكم ويضيّقون عليكم الخناق ، والحرب سجال ، فيومٌ لنا ويومٌ علينا ، ويوم نُعزّ ويوم نُهان ! ونحن موقنون بالنصر ، لأننا أصحاب حق ، وأنتم أصحاب باطل ، وكتاب ربنا يقول : «إن الباطل كان زهوقاً !» .

الموقف الخامس

مع الكولونيل (ألويل) بطنجة

الموقف الخامس
مع الكولونيل (ألويل) بطنجة

حضر هذا الكولونيل بطنجة بعد رجوعها للنظام الدولي ، أي بعد احتلال الإسبان لها وخروجهم منها . جاء من فرنسا ومهمته أن يبحث عمن كان يتعامل مع المحور ؟ وكان يبحث عن المبعدين أو الفارين الذين يسكنون طنجة الدولية فراراً من مضايقة الفرنسيين . وكان يعمل جهده في حل الأزمات ورجوع الأفراد إلى بلادهم ، وقد رجع فعلاً الأستاذ أحمد بلا فريج سنة 1943 بواسطته ؟

هذا الرجل كان يبحث عن الحاج أحمد معنينو ، الشخص المحتفى به الآن ، وقد صادف الوقت آنذاك أن ابتعد معنينو عن الأستاذ المكي الناصري لحصول نزاع وخصام بينهما ، فجلس معنينو في بيته وأصبح يشتغل بالتجارة (بيع الحصر بأسواق طنجة) ! ؟

نعم ، اتصل الكولونيل ألويل بعدة أشخاص كانوا يعرفون ج . معنينو لعلَّه يقابله بواسطة أحدهم ، فاتصل أولاً بالسيد أحمد السلاوي وله معه حديث ، وثانياً بالسيد عبدالسلام الكفت وله معه حديث ، وثالثاً بالسيد أحمد بلمكي بنّاني وهو الذي كان واسطة بين الرجلين .

جاء السيد بناني وقال للحاج معنينو : إن الكولونيل فلان يود

مقابلتك والكلام معك . فأجابه (وكان على علم بالمحاولتين السابقتين) : أنا على استعداد ، فمرحباً به إذا أراد الحضور عندي ! وأضاف : من يترجم بيني وبينه ؟ فردّ بناني : إن الكولونيل يعرف العربية الفصحى والدارجة ! وتساءل الحاج معنينو : وهل ستحضر معه ؟ فأجاب : لا أدري . إذا وصلنا عندك وأمرني بالدخول معه دخلت . وإن أمرني بالرجوع رجعت !

وفعلاً تعين الوقت للاستقبال والحضور في منزل معنينو ، بحي في طنجة يسمى . . . . . . وفي الساعة المعينة حضر بناني ومعه الكولونيل المذكور فاستقبلهم الحاج أحمد في الباب . وطلع بهم إلى الطابق العلوي من منزله . وعندما جلسوا أُحضر الشاي ، وكان الحاج يحتضن صغيره «محمد الصديق» ، وشرعوا في الحديث ، فسأل الكولونيل أولاً عن اسم الطفل فأُجيب ، ثم سأل : لماذا لم تسمه باسم آخر ؟ فأجابه : هذه التسمية اقترحها والدي وكتب إليّ بها فنفذتها !

ثم صار بين الرجلين حديث . وكان الكولونيل ينتظر أن يسمع من معنينو الإفصاح عن رغبته في الرجوع لمدينة سلا مسقط رأسه ؟ ولكنه لم يظفر بما أخبره به بناني الذي لعب دوراً رئيسياً في ترتيب هذا الاجتماع ؟ فالسيد بناني حدَّث الكولونيل بما يريد ، وحدَّث ج . معنينو بما يريد ؟

لم يجد الكولونيل مفراً من المبادرة فقال : إنما حضرتُ عندك لأنك تطالب بالرجوع لمسقط رأسك !

فأجابه : يا سعادة الكولونيل ، ألاَ تعرف أن طنجة بلدي أيضاً ، وأنني متزوج بها ، ولي أولاد ، ودار أسكنها هي التي أنت بها الآن ؟

فكيف بك تقول لي : اذهب لبلدك ؟ إن المغرب بلاد واحدة لا فرق بين سلا وطنجة !

فقال : لا . سلا بها والدك وهو كبير السن ويودُّ أن يراك ، فلماذا لا تطلب الانتقال إليها ؟

فأجابه : يا سعادة الكولونيل ، اسمح لي أن أحدثك بحديث ربما لا يعجبك ، ولكنا ما دمنا نتفاهم يجب عليّ أن أُعرفك بالحقيقة . إن والدي المسكين حقيقة يريد أن يراني ، وقد عمل جهده وطلب الجواز ليحضر عندي عندما أُصبتُ بلدغة عقرب وكاد عمري أن ينقضي ، ولكن الحكام الفرنسيين أصبحوا يستهزئون به ، حتى بلغ به الحال إلى الإقامة العامة ، فخرج له الكاتب العام وقال له باللفظ : «عليك أن تلزم بيتك وإلا تُرسل للسجن» . هذه سياسة فرنسا ببلادنا ! ونحن المسلمون لنا عقيدة ، فإذا لم نر بعضنا في الدنيا فسنرى بعضنا في الآخرة ؟ وما دام الأمر كذلك فعليك أن تريح نفسك من التعب !

وهنا قال الكولونيل للحاج أحمد : عمَّن قرأتَ ؟

فقال له : أو أنت «الكوميسير» تستنطقني ؟ ماذا تريد ممن علمني ؟

قال : لا ، مجرّد تعارف .

فذكر له الحاج عدة أشياخاً قرأ عليهم ، وذكر من بينهم الشيخ محمد بلعربي العلوي ، فقال الكولونيل منزعجاً : هذا الأحمق ؟ قرأت عليه ؟

فأجابه معنينو : ياسعادة الكولونيل ، عليك أن تتراجع عمّا قلته ، أو اخرج من بيتي فلا أريد مقابلتك بعد !

فتراجع وقال : لا ، إنما جرى مني حديث . أستسمحك ؟

فاستطرد معنينو : يا سعادة الكولونيل ، عندما كان الجيش الألماني يحتل فرنسا بلادك . وكنت تحت سياطهم ، ماذا كنت تفعل ؟ أكنت تنام وتستريح أم كنت تدبر الخلاص من المحتلين ؟ فكذلك محمد بلعربي العلوي ، لا يصفو له الجو ولا يستريح إلاّ بعد أن تخرج فرنسا من المغرب !

سكتوا قليلاً . ثم رمى الكولونيل عينه لصورتين معلقتين في البيت وتساءل : لمن هاتين الصورتين ؟

أجابه معنينو : واحدة للأمير محمد بن عبدالكريم الخطابي ، ذلك الرجل المحرِّر الذي استطاع أن يهزم دولتين أوروبيتين منظمتين مسلحتين ، وكاد أن ينتصر عليها ويطردهما من بلاد المغرب ؟ لولا تآزر الدول الأوروبية وحتى أمريكا معهما ، حتى لا يقال إن أعرابياً مع جماعة من المجاهدين استطاعوا أن يهلكوا الحرث والنسل لفرنسا وإسبانيا معاً . وبذلك حصل الانتصار عليه . وأنا أزين بيتي بشخصية هذا الرجل العظيم ، وألتمس منه المدد والقوة والإرادة لأنه مثال الرجولة والكرامة في العالم أجمع ؟

أما الصورة الثانية ـ يضيف د . معنينو ـ فهي صورة البطل المجاهد بالقلم والحنكة السياسية والدبلوماسية الأستاذ محمد بلحسن الوزاني ، الذي تعلَّم لغتكم بفرنسا ، ورجع لبلاده يحاربكم بقلمه السيال وصحيفته العظيمة «عمل الشعب» التي تشوه أعمالكم وتفضح أسراركم وتعمل ليل نهار لإيقاف زحفكم وأطماعكم ! فهو إذن من رجال التحرير أزين به بيتي أيضاً .

وهنا قال الكولونيل : إنك أيها السيد شديد وقاسي ، ولم أكن أعرفك

حتى الساعة ، وأنت إنسان خطير وزعيم قومك !

فردّ عليه ، يا سعادة الكولونيل ، عيبٌ عليك أن تقول هذا . إنّني لست الزعيم ، وإنما أردتَ أن أقول لك إنك أنت زعيم قومك ؟ لأنك مشوّه الخلقة ، ويمينك مقطوعة ، وإحدى عينيك مفقوءة ، ومع هذا لم تترك الدفاع عن بلادك ؟ أما أنا فلست بزعيم ، لأنني لم أُصَبْ بما اختبرتَ به أنت ؟

فراوغه قائلاً : إنني لا أستطيع الدخول في أمرك لأنك صعبٌ ، وقد دخلت في أمر صديقك أحمد بلافريج ، وتعهد إليّ بكتاب أنه سيترك السياسة ويبتعد عنها ، فمهدتُ له السبيل فرجع لمسقط رأسه ، ولكنه في حوادث 1944 كان هو الموقد للنار ، فأصبحت أؤاخذ من قبل الإدارة بأن ما تعهدتُ به كلام فارغ !

وهنا قال ج . معنينو ، يا سعادة الكولونيل ، إنك حرامي (ولد الحرام) .

فقال : وما معنى ولد الحرام ؟

فأجابه : الأصل عندنا أن ابن الحرام هو ابن الزنى ، ولكن درج الناس على وصف الشاطر منهم بابن الحرام !

فقال الكولونيل : ماذا فعلتُ حتى تصفني بهذا ؟

فأجابه : إنك تعرف أن أحمد بلا فريج من حزب الاستقلال ، وأنا من حزب الشورى والاستقلال ، وأنتَ أردتَ أن تشعل النار بيننا ، ولكنني أعرِّفك أن أحمد بلا فريج صديقي وحبيبي . أنا من سلا وهو من الرباط ، المدينتان التوأمتان ! وكل ما في الأمر أن الأفكار السياسية تفترق وتتصل

حيناً ، حسب الظروف !

فقال : لا . أنا لم أقصد بهذا شيئاً ، وإنما ذكرت لك ما ذكرت بسبب ما حصل لي من المسؤولية في الإدارة .

فقال معنينو : ما دمت تسأل عن هذا ، فأنا أصارحك أن الأخ أحمد بلافريج جبانٌ ، وأحمد معنينو هذا شجاع !

قال : وكيف ذلك ؟

فأجابه : عندما قدم المغاربة إلى فرنسا عام 1944 وثيقة (مجرد ورقة) يطالبونهم فيها بالاستقلال ؟ قامت قيامة الفرنسيين ، والحمق أنواع ! فصاروا يضربون ويقتلون ويسجنون ! لماذا ؟ لأن المغاربة طلبوا الاستقلال بورقة ؟ لا سلاح عندهم ، ولا جنود أمامكم ، ولا قوة تقابلكم : ولكنهم عرفوا كيف يقابلونكم ، أو يقابلون حمقكم ، ذلك أن أصحاب الحِرَف أضربوا عن العمل ، والتجار أغلقوا دكاكينهم ، ووقفت حركة البيع والشراء ، وحِرْتُم كيف تقاومون هذه المقاومة الهادئة ، فأخرجتم أحمد بلافريج ومن معه ليأمروا أصحاب الحرف وأصحاب التجارة أن يفتحوا الدكاكين ويرجعوا إلى العمل ؟

فقال الكولونيل : أفِي هذا عيبٌ ؟

فأجابه : نعم . في هذا العيب كله ! من الذي رفع سوط العذاب على الأمة ؟ فمن الذي قتل وضرب وسجن ؟ فرنسا فعلت فعلتها فلتفكر في حلها ؟ وحسب بلا فريج وإخوانه أن يجلسوا في السجن كما أردتم .

فقال : لو كنت أنت مكان بلا فريج ، ماذا كنت تفعل ؟

أجابه معنينو بحزم : كنت أقول للقوم عندما أشاهد الشعب ثائراً : إذهبوا إلى الإقامة العامة . ليمت منكم مليون مغربي ، وتقطعون رأس البقيم العام !

فقال الكولونيل مندهشاً : ما هذا ؟ مليون مغربي يموتون ؟

فأجابه : نعم . دفعنا عنكم مليون مغربي فحرروكم أيها الجبناء ، حررنا بلادكم من المحور ، ولولانا لبقيتم تحت سلطته ، ولكنكم جازيتمونا جزاء سنمار ! إنكم لا تستحيون ولا ترعوون ولا تعترفون بالجميل ! ودفعنا أيضاً مليون مغربي ماتوا في سبيل نصرة فرانكو وأنصاره ! ألا يحق لنا أن ندفع مليون مغربي للموت لتحرير المغرب ؟

فسكت الكولونيل وانزوى ولم يَحْر جواباً .

وهكذا جرت محادثة بين الرجلين . وفي ختامها طلب الكولونيل من الأستاذ المجاهد معنينو أن يكتب له بطاقة يرجوه فيها أن يسهل رجوعه لسلا .

فقال له : إنني لا أرغب في الرجوع لسلا . ما دامت فرنسا يسيرها رعاع الفرنسيين ، الذين لا يرعوون . وإنني معجب بك أيها الفرنسي الحر الذي استطعت أن تقول وأقول ، وهكذا شيمة الأحرار ؟ فلو كان نوع من الفرنسيين مثلك يحكمون البلاد لاستطعنا أن نعيش في أمن وأمان ولكن الواقع أن خساس الفرنسيين وقليلي المروءة منهم هم الذين يتولون الحكم في البلاد ؟ فلا يستمعون ولا ينزجرون ، والمغاربة مصممون العزم على مقاومة الفرنسيين إلى نيل استقلال بلادهم ! المغرب مغرب وفرنسا فرنسا ! وليس المغرب قطعة من فرنسا وراء البحار ؟

الموقف السادس

مع المقيم العام الإسباني السنيور بيك بيدير

المشابه في سياسته لشيخه رئيس الاستعمار الفرنسي الجنرال ليوطي

الموقف السادس

مع المقيم العام الإسباني السنيور بيك بيدير

المشابه في سياسته لشيخة رئيس الاستعمار الجنرال ليوطي الفرنسي !

فعندما عاد الحاج أحمد لتطوان من حج بيت الله الحرام في الشهر الثالث من سنة 1938م على الباخرة «الجنرال فرانكو» (التي كانت تلعب دوراً دبلوماسياً ، حيث تَنْقُل المغاربة إلى حج بيت الله الحرام مدعية أنها تساند الإسلام وتعين المسلمين) ! وسمع بحضوره المقيم العام بواسطة سفيره في الباخرة المدعو بن عمرو السبتي الإسباني الجنسية ؟ الذي كان مشرفاً على الباخرة ولم يحمل معنينو إلاَّ بعد تدخل الأستاذ الأديب الوطني الشهم الحاج محمد بن اليماني الناصري بعث في طلبه بواسطة الأستاذ محمد المكي الناصري !

وفي طريقه إلى دار الإقامة رفقة الحاج محمد الناصري ، قابلهما العلامة محمد الفرطاخ ، الذي يعد من العلماء الرجعيين ! فدخل معهما بدون استدعاء ، لأن الإسبانيين يتتبعون طريقة الفوضى ؟ فيقابلون كل من هبَّ ودبَّ ! وعندما دخلوا للإقامة ، وقابلهم المقيم ، تقدم هذا العالِم لأنه أكبرهم سناً وله لحية وافرة ، وهو صديق للمقيم فتعانقا ! وصار يحكي له أنه وأضرابه كانوا يدعون للجنرال فرانكو وللمقيم العام في المراكز

الإسلامية العامة والخاصة ! وكلام من هذا النوع . وقد كان واضحاً أن المقيم يتبرم من هذا العالِم المخرِّف ؟ !

وبعد أن انتهى الفرطاخ من كلامه الخسيس ، توجه المقيم إلى معنينو بسؤال : يا سي معنينو ، ما رأيك في الباخرة التي أتت بك إلى تطوان ؟

فأجاب : يا سعادة المقيم ، إن هذه السياسة سبقتكم فيها فرنسا في الحرب الأولى ؟ فهي سياسة عرجاء ، والمغاربة لا يعتبرونها مساندة أو مساعدة للإسلام ؟ بل كل ما في الأمر أنه يذهب من المغرب محمد وأحمد فيرجعا إلى المغرب الحاج محمد والحاج أحمد . وهذا شيء لا يفيد المغرب في شيء . فإذا كانت إسبانيا تريد أن تعامل المغرب معاملة حسنة وتأخذ بيده وتساعده على النهضة وتنفذ بنود الحماية ، كالوصاية على المحجور . فعليها أن تبعث البعثات العلمية لخارج المغرب لتكوين الأطر ، وعليها أن تجلب البعثات العلمية لداخل المغرب ، لتأخذ بيد أبناء المغرب وتكونهم وتقدمهم لتحمل المسؤولية ، كما عليها أن تفتح المجال للحريات العامة ، والصحف ، والجمعيات ، وما إلى ذلك ؛ وعليها أن تكف يد العدوان من القواد والخلفان والشيوخ ومن إليهم من البوليس وغيرهم ؛ هذه هي الطريق التي تمهد للاتحاد والتعاون مع الإسبان .

وكان السيد الفرطاخ غير راضٍ عن هذه الأفكار ! ويكاد أن يتكلم ولكنه لا يستطيع ، نظراً لقوة حجة معنينو .

فقال المقيم : سيدي معنينو ، إنني أنبئك بأن صديقك الحميم إبراهيم الوزاني سافر صباح هذا اليوم إلى القاهرة ليهيء الجو لبعثة مغربية تستقر بالقاهرة ؛ وصديقك الحميم الشيخ محمد المكي الناصري (مدير المعهد

الخليفي) حصل بيني وبينه اتفاق على تكوين أفراد البعثة ، فطب نفساً ، فإن الفكرة التي أوحيتَ بها ستنفذ ! وعليك أن تتصل بالشيخ م . م . الناصري وتذاكره في الموضوع وتسانده في التكوين . وأضاف : إن باب الإقامة العامة مفتوح في وجهك ؛ وكل ما تطلبه حالاً ينفذ .

فردّ معنينو : يا سعادة البقيم ، إنني أشكر تفضلك بهذه الكلمات ، وأعرِّفك أنني لا أطلب الزعامة ولا القيام بشيء يخصني ! بل أنا معلم أُدرِّس في المعهد الخليفي ، وأنا أكتب في الصحافة وجريدة «الوحدة المغربية» تصدر . . وبها أحرر كلمتي ؛ وأنا أخطب في المجتمعات ، وأندية «الوحدة المغربية» بالمنطقة مهيأة فأنا أخطب بها . فهذا رأس المال الذي أحافظ عليه ، ولا أتعداه ! مادام متيسراً في جوّ من الهدوء والطمأنينة والتعاون المثمر .

وعلى هذا الأساس افترقوا . واتصل الحاج معنينو بالأستاذ م . م . الناصري ، وأطلعه على ما جرى بينه وبين المقيم ، فسعى في مدة وجيزة وعينه بقرار وزيري كاتباً ثقافياً بالمعهد ، ثم طَلَبَ منه أن يبعث منشوراً لطلبة المعهد الديني بمدرسة «لوقاش» للمشاركة في مباراة سيقيمها المعهد بين الطلاب ، ومَنْ نجح منهم سيأخذه المعهد ويرسمه تلميذاً به ، ويضمن له السكن والحياة الكريمة ، ويهيئه لمستقبل زاهر .

وهكذا حرر معنينو منشوراً ، مطبوع في جريدة الوحدة . واستقبل المعهد مئات الطلبة ، وأُجريت الامتحانات والمباريات ، وكانت اللجنة المشرفة على هذه الامتحانات مكونة من الأساتذة : معنينو ، الناصري ، وإبراهيم الإلغي ، وانتهت باختيار العديد من الطلبة الناجحين ، وأصبح

الجميع يتعاونون على تكوينهم في المعهد الخليفي بالتدريس يومياً :

ـ معنينو : يعلمهم النحو واللغة والتدريب على الخطابة كل أسبوع ، والتكوين العلمي للطلبة .

ـ الشيخ م . م . الناصري : مادة الجغرافيا والعلوم .

ـ إبراهيم الإلغي : المادة الأدبية .

ـ وأستاذ مصري (نأمل التعرف على اسمه) : مادة الحساب .

وكان المتفق عليه مع المقيم تكوين خمسة عشر طالباً ، التي سنتجحُ في الامتحان الأخير ، لتتشكل منها البعثة لمصر . وكان الشيخ المكي يتصل بسمو الخليفة مولاي الحسن بلمهدي ، الرجل المؤتمن . . . والوطني الغيور .

كما كان المكافح الشهيد إبراهيم الوزاني يلعب أدواراً مدهشة في القاهرة ! ويلعب بالأطفال الموجودين هناك من لدن الطريس من المعهد الحر ، الذين هم من أبناء العائلات الغنية بتطوان ، وليس بينهم طالبٌ واحد من أبناء المنطقة كلها !؟ فهي عنصرية بغيضة !؟ ولو اطلّع هؤلاء التلاميذ على ما كان يهيئه الأستاذ الوزاني لنسفوا به الأرض ! ولكنه كان حكيماً ، يلعب بالصبيان ! ويهش ويبش في وجوههم ، ويقدم لهم الخدمات ، والمساعدات المادية ! ويعينهم حسب شهوتهم ! وكان في نفس الوقت يتصل بوسائط برجال العِلْم من الأزهر ومن الجامعة ومن الكليات العلمية ، وكان يجُسُّ النبض : هل في الإمكان قبول بعثة من المغاربة ؟

ولما تحقق لدى السيد الوزاني أن المغاربة يُقبلون ، وأن المصريين على

كامل استعداد ، بعث خفية إلى الشيخ المكي الناصري ليحضر عنده سرياً ، وهيأ له الأجواء والاتصالات ، فاستطاع الشيخ المكي أن يحدِّث العناصر العلمية ورجال الفكر بمصر أن المغرب في حاجة ماسة للمساعدة العلمية ، وأن مصر لها دور رئيسي في إنعاش الأمة المغربية إن هي قبلت أبناء المغرب ليتعلموا فيها ، وعَرَّفَهم أن الكثير من الشروط المطلوبة لا تتوفر في الطلبة المغاربة ، فهم !

أولاً : كبار السن !

ثانياً : غير مستوعبين لعدة علوم جامعية !

ثالثاً : جلهم فقراء ، والحرب على الأبواب ؟ وإذا نزلوا مصر وقامت الحرب يُتركون هملاً !

وعرَّفهم أن الحكومة الإسبانية تلعب بالحديد والنار ! وتعد ولا تفي ! وأنها غير مستعدة لمساعدة المغاربة ليتعلموا ، وكلام من هذا النوع !

فأجاب المصريون أنهم على كامل الاستعداد لقبول الطلاب المغاربة على أي صفة كانت ! وأنهم مستعدون أن يخلقوا منهم جيلاً متعلماً ناهضاً ، قادراً ـ بعد عودته إلى المغرب ـ أن ينشر العلم والمعرفة ، وأن يرشد الأمة والأبناء لصالح المجتمع المغربي .

ورجع الشيخ المكي للمغرب متفائلاً .

وقامت جماعة من الوطنيين الأشاوس ، على رأسهم الأستاذ ج . عبدالسلام التمسماني وأخوه القائد محمد التمسماني والقائد المجاهد عبدالهادي بن عزوز وغيرهم ، بالارتحال سرياً إلى بلاد الريف ، وقاموا بالدعاية في كل قبائلها . . يأمرونهم أن يذهبوا إلى المراقبات في بلادهم

ويطالبون بإرسال أبناءهم ضمن البعثة التي ستخرج لمصر من معهد مولاي الحسن بتطوان ، ويعِدُون المراقَبات بأنهم هم الذين يقدمون أبناءهم طعمة لنيران الحرب أو نصرة الجنرال فرانكو ، فإذا لم يُساعدوهم بأخذ أبنائهم في البعثة فإنهم سيكونون مضطرين لوقف تيار المساهمة في الجيش ؟!

فكان هذا التدخل طريقاً موصلاً إلى الغاية . فتراكمت الطلبات على الإقامة العامة من كل القبائل الريفية ، مهددة بأنه إذا لم ينفذ طلبهم فستكون النتيجة غير حميدة !؟

كما أنهم اتصلوا بالأستاذ عبدالله كنون بطنجة ، وهو مدير مدرسة حرة ، والإسبانيون الموجودون بطنجة ، معظمهم يساريون ، بينما أصحاب فرانكو أقلية يعملون جادين في الدعاية لفرانكو ! فاختار عبدالله كنون جماعة من الطنجيين المتصلين بالإسبان ليزوروا المسؤول الإسباني الفرانكوي ويعرفوه بأنه إذا ساعد طائفة من أبناء طنجة للمسير ضمن البعثة فإنهم يضمنون له نشر أفكار فرانكو ! وخراب دعوة اليساريين ؟ فتكونت بعثة من أربعة أفراد مروا لتطوان بلباس «الفلانخ» . وعندما وصلوا ، ووصل التلاميذ الريفيون ، جاء دور الأستاذ عبدالقادر برادة . . الشهيد .

الأستاذ برادة كان في زيارة لبلاد الجزائر ، واتصل فعلاً بجمعية العلماء المسلمين بناديهم في مدينة تلمسان ، وتحدث إلى الأستاذ العلامة عبدالحميد بنباديس والشيخ الإبراهيمي وعرّفهما بشؤون البعثة !؟ فكلفوه بأخذ تلميذ معه (بطرسمي أبو مدين الشافعي) بطريقة ملتوية . فأخذه

كخادم في الباخرة ! وعندما بلغت الباخرة طنجة ، أخذه لبيته ، وألبسه لباس «**الفلانخ**» ، ومرّ به إلى تطوان ، وقابل المقيم العام الإسباني «بيك بيدير» قائلاً : لقد أتيتك باعتراف الجزائر بفرانكو ؛ فهذا تلميذ من جمعية العلماء لترسله داخل البعثة ، وبهذا العمل تضمن النجاح لدعوة فرانكو ، والاعتراف بوجوده ضدَّ خصومه اليساريين !

وبهذه الوسائل التي قامت بها جماعة من الوطنيين الغيورين تكونت البعثة وبلغ عددها نيفاً وأربعين طالباً ، كلهم ذهبوا للقاهرة . . واستقروا بمكان يسمّى «**بيت المغرب**» ، وتوزعوا على المعاهد العلمية بعد امتحانات .

وبهذا نجح المغرب في هذه الطفرة ، واستطاع أن يتغلَّب على المستعمر الإسباني المتلاعب المدجِّل ، وجمعت اللجنة المغربية مالاً كثيراً من الريفيين بسبتة ومليلية ، وبهذا المال استطاعت أن تقطع الطريق وتصل بالبعثة إلى مصر ، وتكوِّن لها مقرًّا مجهزاً بكل ما يُطلب ؟

هذه نظرة مختصرة عن موقف معنينو من الاستعمار ـ الإسباني ، لأنه يعتبر أن الاستعمار داءٌ واحد ! ومرضه متشابهٌ ، ودخائله ومصائبه واحدة ، فالاستعمار دائماً رأس البلايا والخزايا ، فلا فرق بين فرنسي وإسباني ، بل كلهم خصوم وأعداء للمغرب ، اتفقوا على قفاه ووزعوه بينهم أوزاعاً . فلئِن أظهرت إسبانيا بعض التفاهم في المظهر فهي مضطرة ، لأن الحرب الأهلية الإسبانية فَرضت عليها أن تساند المغاربة وتتعامى في الجملة وتساعد ، ولكنّها تغامر وتخلق المخالف والمشاكس من أبناء المغرب ليكونوا حجر عثرة في طريق نجاح إخوانهم . فهي تأكل الشوك

بلسان المغاربة ، وتطلق العنان ليحارب بعضهم بعضاً ، وتدعي أن ذلك لا يهمُّها ! وهي تجابه الكل بوجه مَسِخ ، وبكلام معسول ! ربما يحسبُه بعض المغفلين مساندة للمغرب في النهضة ، والحقيقة غير ما يفهمون ! فقبَّح الله الاستعمار بكل أنواعه ما ظفر منها وما خفي ؟

الموقف السابع

وهو موقف يوم الخمر بسلا سنة 1934

الموقف السابع

وهو موقف يوم الخمر بسلا سنة 1934م

كان يوماً مشهوداً في الوطنية المغربية ضد السكر والعربدة ؟ ومن المواقف المشرفة ما صدر ساعة صدور الحكم بحضور المراقب المدني مسيو «كبريال» والباشا الحاج محمد الصبيحي :

فلقد حضر للدفاع عن المجاهدين أحمد معنينو ، ومحمد حصار «نقيب المحامين الفرنسيين بالرباط ؛ فبدأ دفاعه (باللغة الفرنسية) بالقول : إن السيد معنينو قرأ بكلية القرويين ، وبما أن القرويين لا تدخلها الشمس ! وليست لها نوافذ فإن المتعلمين فيها يقع لهم شبه خلل !؟

فوقف السيد حصار الشجاع (الذي كان يعرف الفرنسية) وقال للباشا : يا سيادة الباشا ، إن هذا المحامي المدافع قال حول القرويين كذا وكذا ، وبما أنك أنت خريج القرويين فأنت والسي معنينو سواء !؟

ثم قال معنينو للباشا وللمراقب : يا صاحبيّ السعادة ، إنكما مأموران ، لا أقل ولا أكثر ، تنفذان ما أمرتكما به حكومة الرباط ؟ ومدة سجننا كما اطلعتُ على ذلك شهران كاملان . وإذا كذبتموني فيما أدعيه زيدوا يوماً أو انقصوه !

ولكنهما لم يزيدا أو ينقصا !؟

وكان معنينو وحصار قد تعرفا على مدّة الحكم من خلال شخصين هما : الأديب العربي معنينو (ابن عم ج . أحمد) والسيد أحمد حصار (شقيق محمد حصار) الذين كانان كاتبين مع الباشا ، حيث التقوا جميعاً بجانب الفلك وهناك تم الإخبار بما جاء من السلطات العليا بالرباط .

الموقف الثامن

مع مسيو كويزيني نائب المراقب المدني في سلا

الموقف الثامن

مع مسيو كويزيني Kuizini نائب المراقب المدني في سلا

في بدء الحركة الوطنية كان للأناشيد والأغاريد مفعول كبير ؟ وأصبح الوطنيون يحضرون في الحفلات ولو بدون استدعاء ! . ويستغلون ظروف التجمعات ليلقوا الأناشيد والأغاريد المهيجة للوطنية ، مثل نشيد :

كبلونـــا سلسلُونـــا   لا نبـــالي بالقيـــود

أو :

يا ظـــلام السجن خيِّم   إننا نهـــوى الظلامـــا

وكانت المراقبة تبعث بجواسيسها لإحصاء ما يقولون ، ويذهبون في آخر الحفل ليلاً إلى سعادة المراقب ويخبرونه بما جرى ؟

وفي أحد الأيام كان عرس كبير بالمدينة لعائلة آل الأحرش ، وكان الحفل بهيجاً ، وألقى الوطنيون فيه الأناشيد والزغاريد وضيقوا الخناق على الجواسيس ، فراح أحدهم ليلاً إلى نائب المراقب مسيو «كويزيني» الذي قام من نومه باكراً ، وحضر للمراقبة (أي مقر المراقب) وبعث في طلب السيد معنينو حوالي السادسة صباحاً ، مؤكداً على المخزني أن يطالبه بالحضور حالاً . فلبس معنينو جلباباً كان عنده

معداً للسجن ، إذ عزم أن يذهب للسجن حالاً . ولما خرج رافقه والده رحمه الله . وفي الطريق قال الابن لأبيه : أرجوك سيدي ألاَّ تتدخل في أمري ، فأنا أعرف أن سعادة المراقب سيكلِّمني بكلمات غليظة ! ــ تقلق راحتك أو تدخل عليك الفزع ! فاتركني وشأني . فقبل فكرته !؟

وعند المقابلة حضر مع المراقب خليفة الباشا ، وكان الوقت لا يزال باكراً ، أي حوالي السادسة والنصف . وبمجرد المقابلة تكلم المراقب باللغة الفرنسية ، ولم يحضر ترجمان ! فترجم كلماته سعادة الخليفة . والكلمات كلها تهديد ووعيد !

وعندما انتهى الترجمان قال معنينو : يا سعادة الخليفة ، هل أنت خليفة أم ترجمان ؟ المعروف أنك أنت خليفة الباشا ، وأن الكلمة في الحكم لك لا للمراقب ، وأنا أستغرب من خضوعك للمراقب ، وهو يسلط عليكم هذا الجاسوس الذي أيقظه من نومه باكراً ، وجاء للمحكمة قبل الوقت المحدّد ، وجئت أنت كذلك ! إنكما تخالفان قانون الدولة ، وأنا أستغرب هذا العمل منكما !؟

ثم قال للمراقب : يا سعادة المراقب ، لقد جئتُ مزوداً بجلبابي هذا للسجن ، لأنك تهدّدني دائماً وأبداً بالسجن ، ولكني سأقيم عليك دعوى ، حيث حضرتَ للمحكمة قبل الوقت المحدِّد قانونياً ، وتسبب حضورك وسماعك للجاسوس الجاهل الأمي ! الذي أيقظك من فراشك ، وأنت رجل علم وفكر تسمح لجاسوس جاهل أمي يلعب بالحديد والنار ! وسعادة الخليفة كذلك حضر لمحاكمتي في

وقت غير قانوني !؟

وأغلظ معنينو لهما القول بحيث أصبحا في قفص اتهام ؛ واستيقظ المراقب والخليفة وتراجعا عن فكرهما ، وقالا له بحضور والده : الآن يمكنك أن تذهب لحال سبيلك !

فأجابهما : يا سعادة المراقب إن عملك شديد الوقع عليّ ؛ ويا سعادة الخليفة إنك أتيتَ وتركتَ زوجتك وأبناءك في راحة بال ، أما أنا المسكين فقد طرق باب دارنا المخزني يستدعيني باسم المراقب ، فقامت أمي وأخواتي وإخواني ووالدي يتباكون لفراقي ؛ فكيف بكما تستدعياني ثم تقولان اذهب لحال سبيلك ! هذا شيء غير معقول ؟ بل يلزم أن أذهب للسجن ، ولا أخرج من هذا المحكمة إلا بشروط ؟

قال المراقب وما هي الشروط ؟.

أجابه : إنك مراقب فقط ، ولا حق لك في استدعائي ولا في إقلاق راحتي ولا في البحث عني . يلزمك أن تأخذ حذرك وتترك الأمر لباشا المدينة ، فهو الذي يتولى البحث وتتبع القضايا ، فإذا لزمت الأحكام أصدرها ؟ ومن اليوم فما فوق لا أستجيب لدعائك ولا آتي باستدعائك ؟ لأنني أعتبرك غير مكلف بالأحكام ؟ آآخذ عليك عهداً بالتزام هذا الموقف ؟

فالتزم المراقب وأخذ العهد على نفسه ألا يستدعي السيد معنينو إلاَّ بواسطة الباشا .

وخرج أحمد معنينو مع والده . وحيناً تبعهما خليفة الباشا السيد المكي الصبيحي وأخذهما في الطريق إلى بيته لتناول الفطور على مائدته ، وقال

لمعنينو الأب : أشكرك وأشكر ولدك على موقفه الحازم الذي حرر داري من ذلك العدو الجاسوس الخبيث الذي كان يدخل بيتنا بالرغم عنا ! ولكن ولدك هذا فضح عمل ذلك السافل ، وأسمع المراقب الذي يسير في هذا الطريق ما كشف له طريق الحق ، فوعد ألا يستمع لأي جاسوس من الآن فما فوق ، وكل ما يبلغه يتكلم فيه مع الباشا ليرى رأيه في الموضوع .

الموقف التاسع والعاشر

مع الأستاذ المؤرخ محمد وهبي أحد أفراد

البعثة المصرية لمعهد مولاي المهدي بتطوان سنة 1939

الموقفان التاسع والعاشر
مع الأستاذ المؤرخ محمد وهبي أحد أفراد
البعثة المصرية لمعهد مولاي المهدي بتطوان سنة 1939

هذا الأستاذ كان يلقي محاضرات أسبوعية بالمعهد «الخليفي» يحضرها تلامذة معهد مولاي المهدي . وكان الأستاذ معنينو أستاذاً بمعهد مولاي المهدي وله صلة كبيرة مع هؤلاء التلاميذ ، وبينهما مذاكرات ومناظرات واتصالات .

وفي أحد الأيام حضر عنده منهم وفد ليلاً يشتكي ويقول : يا أستاذ ، إن كل ما قررته لنا وألقيته علينا عن تاريخ المغرب ذهب أدراج الرياح ؟ فقد تحدث الأستاذ المؤرخ «محمد وهبي» في محاضرته اليوم وجاءنا بكلمات منقولة عن كتاب العمران «**لابن خلدون**» قائلاً : «الأمة التي لا يمتزج سكانها ليست بأمة ، والشعب الذي لا تكون له مقومات ليس بشعب ، والدولة التي لا تمر عليها قرون ليست بدولة ! لنطبق ذلك على المغرب ؛ نجده ليس بأمة أو لا بشعب أو لا بدولة ؟» .

تعجب الأستاذ معنينو من هذا المنطق المعكوس ، فلعب دوراً مع هؤلاء التلاميذ : يذهبون حالاً إلى سيادة الأستاذ وهبي في منزله ، ويخبرونه أن هذه المحاضرة لها وقع كبير في المدينة ، وقد تعلق بهم كثير

من الطلبة والأساتذة يرجونهم أن يطلبوا من سعادته إعادتها باللفظ غداً مباشرة !

نفَّذ التلاميذ ذلك . وقاموا بالدعوة في الأوساط العلمية باستدعاء الطلاب والأساتذة ، علماً بأن الوسط التطواني شغوف بحضور المحاضرات والمناظرات ، وهيأوا حجرات المعهد لاستقبال الجمهور ، ووضعوا الميكروفونات لتكبير صوت المحاضر ! وحضر الأساتذة ، مغاربة ومصريون ، من معهد مولاي المهدي ، وعلى رأسهم الحاج أحمد معنينو ، وأخذ له مقعد قبالة المحاضر بينه وبين الطلبة .

وعند اجتماع الجمهور شرع المحاضر يلقي كلمته قائلاً : إن بعض التلاميذ طلبوا مني باسم الجمهور أن أعيد لهم محاضرة أمس ، نظراً لكونها أخذت موقعها من نفوس السامعين . وامتثالاً لذلك ، ونزولاً عند رغبة الجمهور ، أسرع في إلقاء المحاضرة .

ثم بسمل وافتتح وقال نص ما ذكر أعلاه من كون المغرب ليس بأمة ولا بشعب أو لا بدولة !؟

فوقف أمامه الأستاذ معنينو وخاطبه قائلاً : يا أستاذ ، طبِّق ذلك على مصر ؟

فما كان من الأستاذ إلا أن تعصب وقال : مصر أمة ! وشعب ! ودولة !

فقال معنينو : يا أستاذ ، هل كلمتك هذه تطبق فيها ما قلته عن ابن خلدون ؟ أو مجرد تعصب لمصريتك ؟ إنني أتحداك أن تأتي بملك استقل بمصر ولو عشرة أعوام في الجاهلية والإسلام ؟

ففكر قليلاً وقال : لقد توفق كافور الإخشيدي وحكم مصر فوق عشر سنوات !

فقال معنينو : يا سبحان الله . عبد خصي استولى على حكم مصر لمدة عشر سنوات تعتبره شيئاً معقولاً ومقبولاً في المنطق العلمي ! ودولة كالمغرب ساسها الأدارسة واللمتونيون والموحدون وبنو مرين وبنو وطاس والسعديون والعلويون ، من بينهم إدريس الأكبر والأصغر ومحمد بن إدريس ويوسف بن تاشفين وعبدالمومن بن علي وعبدالحق المريني وأحمد المنصور السعدي وإسماعيل العلوي ومحمد بن عبدالله العلوي والحسن الأول العلوي ومحمد الخامس الحاضر ليس بشعب أو لا بأمة أو لا بدولة ؟

إنكم أيها المصريون لم تكونوا في وقت من الأوقات أمة مستقلة ، من عهدالفراعنة إلى محمد علي الكبير الألباني الجنسية ، والذي عُيِّن عليكم من طرف الخليفة باستانبول ، ولكنه تنكر واختفى بحكم مصر لفترات ! فكيف بك تهين المغاربة في عقر ديارهم ، إنك بقولتك هاته أشد وقعاً علينا من المستعمرين لبلادنا إفرنسيين وإسبان ، فإنهم رغم احتلالهم لبلادنا تحت اسم الحماية لا يستطيعون أن يقولوا مثل قولتك ؟ فمن أين أتيت بهذه الأفكار السيئة الوقع ؟ وذات الطابع العنصري بين الطلبة ؟

فبُهت المحاضر ! ولم يجد ما يقول سوى أنه لم يجد المراجع . . وأنه أخذ بعض الشيء من كتب مدرسية إسبانية وفرنسية !؟

فأجابه معنينو : يا للعجب . ما وجدتَ مرجعاً تأخذ منه هذه الأفكار الطائشة ! إلا كتب المستعمرين ؟ إن خزانة هذا المعهد الذي نحن به مليئة

بالكتب والمراجع العلمية . . التاريخية . . الأدبية . . الاجتماعية . . السياسية ؛ وأنت تعديت مكانك وركبتَ رأسك ؛ فأنت أشد علينا وقعاً من الفرنسيين والإسبان ! ؟

فقام أحد الأساتذة المصريين وقال : يا أستاذ وهبي ، عارٌ عليك أن تأتي بمثل هذه الأفكار التي تُدخل الجزع والفزع على أبناء المغرب الأشم ؛ وأنت يا أستاذ معنينو قد تجاوزت الحدود ! وهاجمتنا ونحن نستمع عن بلادنا ؛ والأحسن أن نرجو منكما أن تتسامحا ؛ وعلى الأستاذ وهبي أن يراجع الكتب التي ذكرت ، ويعيد النظر ويقرر محاضرة تلتزم بالمنطق وتعطي لكل ذي حق حقه ؟

وعندما كان الأستاذ معنينو يجادل الأستاذ وهبي كانت القاعة تضج بالتصفيق والهتاف ! وكأننا في معركة صاخبة ، الأمر الذي لم يسبق له مثيل ! وانتهت المعركة .

وتأتي معركة ثانية ،

مع الأستاذ وهبي نفسه :

فلقد كانت عادة معهد مولاي المهدي ، باتفاق الأساتذة المصريين والمغاربة والإسبان ، أن يقوم أستاذ بمحاضرة أسبوعية كل يوم أربعاء تحت اسم : «حديث الأربعاء» .

وجاء دور الأستاذ محمد وهبي ، فجاء في كلامه حول اللغة الدارجة التي توجد في مصر وفي المغرب : إن الدارجة المغربية كلها ألفاظ دخيلة ولا علاقة لها باللغة العربية ، بينما المصرية الكثير فيها عربي !

فوقف معنينو في وجهه وقال : إنني أتعجب من كلامك هذا . إنكم أيها المصريون لا ترتبطون باللغة العربية ولا بقواعدها ، سواء منكم الدكاترة والأساتذة والمحاضرون وربما حتى المؤلفين . إن كلامكم ومحاضراتكم كلها ملغومة بألفاظ دخيلة وبعيدة عن العربية !؟

وأتى معنينو ببعض المفردات التي ينطق بها المصريون مثل : «وَشَّكْ» (أي وجهك) و«الطربيزة» (أي الطاولة) . . وما إلى ذلك ؛ وأضاف أنه استمع إلى الأستاذ الأديب الفنان حسين أمين المربي الكفء في روضة الأطفال يلقن الأطفال بمبادىء الحساب فيقول : واحد ، إثنان تراثه أربعة . . . ، إحداشر ، إثناشر ، تلطاشر . . الخ . فتعجب وقال له : يا أستاذ ، إن كتاب الحساب يقول باللفظ : واحد إثنان ثلاثة لا إثنان تراثه ، ويقولون أحد عشر إثنا عشر ثلاثة عشر لا كقولك إحداشر إثناشر . . الخ ، فهؤلاء الأطفال الذين يتلقون عنك هذه الكلمات يحفظونها فتعوج بهم الطريق .

ولهذا ـ قال معنينو ـ أنصح الأساتذة المصريين عموماً ، الذين هم إخواننا وأعيننا وأحباؤنا ، أن يتقبلوا ملاحظتي التي ربما لا تعجب البعض ، ولكننا إنما نحن هنا جماعة مربون في هذا المعهد نقوم أسبوعياً بمحاضرة نسعى من ورائها إلى اتحاد الاتجاه العلمي في تربية الأطفال وتكوين التلاميذ . أما الأستاذ وهبي ـ سامحه الله ـ فهو دائماً يتهجم علينا بكلمات لا تليق ، ولا سند له ولا مرجع ، وغاية أمره أنه ينتقم منا ، وليس من شأن المربين أن يكونوا في هذا الوضع !

فقام الأستاذ المكي الناصري مدير المعهد وقال باللفظ : يا أستاذ

معنينو ، إنك تزعج الأساتذة المصريين ! وتعمل على إبعادهم بمواقفك ضدهم !؟

فأجابه الأستاذ معنينو : إنك يا أستاذ تعيش في الغلط ، إننا لم نؤسس هذه الجمعية «حديث الأربعاء» إلا لربط الصلات والتفاهم والتعاون والنصح والإرشاد ، وليس لدينا ما يُزعج أو يُقلق أو يُبعد ، وأنت كمدير عليك أن تؤيد الحقيقة ، ولا تتدخل بمثل هذا التدخل .

وانتهت المشكلة بسلام .

-2-

خطب ومواقف جريئة أخرى

خروج الحاج أحمد معنينو من المغرب
بعد أحداث سنة 1937

كانت الواقعة الكبرى والمجزرة العظمى ، والنكبة التي لا تنسى في ختام سنة 1937 حيث شردت فرنسا شمل الوطنيين الأحرار ، فقتلت الأبرياء الأستاذ محمد القرى بعد ما جرى عليه من تعذيب واعتداء وانتقام ، لأنه وطني ، يحب بلاده ، ويدافع عنها بقلمه ولسانه فأشير عليّ من طرف الأوفياء أن اتخذ الأسباب الممكنة للخروج من المغرب . بقصد الدعاوة للقضية المغربية في الدول العربية . جهد الاستطاعة ، والتعريف في تلك الأوساط بما جرى في المغرب من الأحداث الجسام ، والعدوان والفتنة والانتقام والحال أن جميع الإمكانيات غير متيسرة لدي ، لكن الوفاء للوطن المقدس والعرش المفدِّى وللعقيدة والشرف والكرامة ، سهل علي كل صعب ، تمارضت طيلة أيام الأزمة ، ولم أظهر في الشارع ، ولا شاركت في المظاهرات ، بل كنت أقدم بعض الأوفياء لرئاستها ، ومن الحق والإنصاف أن أذكر هنا عطف وغيرة باشا سلا العلامة الحاج محمد الصبيحي ووطنيته ، فقد كان رحمه الله يرسل إليّ الرسل ويوصيني ألا أظهر في الشارع ، لأنه مطالب من لدن الحكومة الفرنسية بالقبض علي بمجرد ظهوري في الشارع ، فينصب إليَّ فخ ما ويقع القبض علي ،

وعملاً بنصيحته تأخرت عن الميدان ، وعند انقضاء شهر رمضان المعظم ، وهدوء العاصفة في الجملة ، اتخذت أسباباً للسفر لحج بيت الله الحرام ، وقدمت الطلب . وبعد عشرين يوماً في المحاورة ، تمكنت من الجواز . وأين المال ؟ اليد فارغة ، والكفّة مزعزعة ، قدمت كتبي المدرسية وخزانتي البسيطة ، لأخينا الفقيه العلامة الحاج محمد التطواني صاحب مكتبة ، قدمت ليلاً لبيته ، وفي غفلة عن الرقيب ، وضعت الكتب بين يديه ، وقلت له باللفظ ، هذه الكتب أرجو أن تقيمها . وتضع أثماناً لها عاجلاً . بمحض إرادتك ، وتقدم إليَّ ما تراه ثمناً لها عاجلاً ، إنني مهاجر من المغرب ، استرني أكرمك الله ، وفي الصباح مكنني بظرف فيه دراهم لا أعرف مقدارها ، سافرت إلى طنجة ، وامتطيت متن سفينة انجليزية تحمل الحجيج (كنت بالدرجة الرابعة ، وبمجرد الإقلاع من الميناء أصبحت خطيباً في الباخرة ، أندد بفرنسا وعدوانها ، وأتمنى إبادتها . وبلغنا مرسي بورسعيد في دولة مصر العربية ، وليست لدي الاجراءات القانونية للنزول في أرض مصر ، ولكنني رغم ذلك تقدمت إلى المسؤول المصري في ظهر الباخرة ورجوته الإذن لي بالنزول فبحث جوازي وأجاب بأنه ليست لدي تأشيرة الدخول ، قلت أية تأشيرة تريد ؟ أجاب تأشيرة سفير مصر ، قلت له لا يوجد في المغرب سفير لمصر ؟ والوقت زمان عرس فاروق ، ملك مصر ، قلت للسفير أنا صحافي مغربي أتيت للمشاركة في أفراح ملك مصر ، ولم أجد سبيلاً للوصول إلا بطريقة حاج ، والآن سيادتك ين أمرين إما أن تطبع الجواز ، وتأذن بالنزول لأشارك في الحفلات كصحافي أكتب لصحف المغرب عن أفراح الملك

فاروق ، والشعب المصري كي نشارك مصر في أفراحها وبهجتها ؟ وإلا كتبت للصحف المغربية أن المسؤول المصري لا يريد اتصال المغرب بمصر ؟ فهو ضد نزولي لأغراض المستعمرين ولا يسمح لي بالنزول والمشاركة ، وتأزمت الوضعية وأخيراً استجاب وطبع الجواز ونزلت إلى القاهرة ، وبيدي عشرة دراهم سكة مغربية لا غير . حيث وضعت لدى السفير المصري ضمانة قدرها خمسون درهماً فقط هذا المال هو كل ما أمكله الساعة .

سافرت مسرعاً لمدينة الاسكندرية عند أبناء عمومتي آل معنينو . نزلت عندهم ضيفاً مكرماً . وعرفتهم بالوضعية التي من أجلها دخلت مصر ، وهي الدعاوة لقضية المغرب ضد العدوان الفرنسي الفظيع ، فتكرموا مكشورين وأمدّوني بالمال ، ومهدوا إلي سبل الاتصال بالشخصيات الوطنية المرموقة على رأسها سمو الأمير عمر طومُسون الرئيس الشرفي لجمعية الشبان المسلمين بالقطر المصري ، ثم الاتصال بسفير أفغانستان المسلم التقي الشيخ المجددي ، كان هذا بالاسكندرية ضيفاً عندهم ، وعرفوا هاتين الشخصيتين العظيمتين بالغرض الذي أتيت من أجله . فسهلا عليّ مهمة عظمى ، وعرفاني بعدة شخصيات لامعة بالقاهرة ، وبرؤساء الجمعيات الإسلامية والوطنية والحزبية . بل يسر لي سفير أفغانستان الحضور إلى بيته في القاهرة ، لمساعدتي في كل ما أريد . ومن حسن الصدفة تقابلت مع الأخ العزيز الطالب إذ ذاك الأستاذ محمد العربي العلمي من البيضاء ، تجولت بالقاهرة ، واتصلت واهتديت بواسطة جماعة من طلاب المغرب المستقرين بالقاهرة ، مولاي أحمد بن

إدريس الوزاني من فاس ، محمد بن عبدالله والحاج علي مُليس من الرباط وغيرهم . . . هؤلاء الطلاب لعبُوا دوراً رئيسياً وبهلوانياً حتى أدخلوني شبه مؤتمر لرجال حزب الوفد بدار الأستاذ الزعيم مصطفى النحاس ، تجاوز عدد المشاركين فيه عشرة آلاف شخص ، من أطراف مصر خطب منهم نحو الخمسين خطيباً ، كانت الأزمة خانقة بين حزب الوفد ، والملك فاروق اغتنمتها فرصة وطلبت كلمة باسم المغرب . في أحضان المؤتمر فأذن لي ، فبعد التحية والإجلال لحزب الوفد وزعيمه سعد والنحاس ، شرعت أشرح للحاضرين فظائع الاستعمار الفرنسي ببلاد المغرب وما يقاسيه الشعب المغربي من شدائد وموبقات وتجني واعتداء على المقدسات والعلماء والوطنيين ، وكل المغاربة . . . فذكرت أحداث المغرب ومطالبه والحالة الرهيبة تحت عدوان فرنسا . وإنني جئت ملتجأً لبلاد مصر العزيزة ، في طريقي للحج ، وقصدي الاتصال بحزب الوفد العظيم الذي يكنّ له المغاربة أجمعون الحب والوفاء ، جئت أطلبه العون والتأييد للقضية المغربية ، وملك المغرب ، والتهب الجميع بالقيام والهتاف ضد فرنسا وأعمالها العدوانية ، وأنا أشيد بالتحرير في كلمات التأييد ، وعند انتهاء دوري قام الزعيم المصري مصطفى النحاس قومة وألقى كلمته ، فكانت كلها نصر ومؤازرة واحتجاج وسخط على فرنسا وسوء أعمالها ، وانتهى التجمع برفع برقية احتجاج باسم الجميع لسفير فرنسا بالقاهرة المسمى كايار ولدولة فرنسا مباشرة ، وطلعت صحف الغد كلها تتحدث عن الحدث الجلل ، والموقف الخطير بالمغرب ، فسهل علي الاتصال بالجمعيات الإسلامية والرؤساء والأندية الوطنية ، فزرت محب

الذين الخطيب مدير مجلة الفتح الغراء ، وزرت الصحافي المجاهد محمد علي الطاهر الشهير وزرت رئيس الشبان المسلمين الدكتور عبدالحميد سعيد برسالة من الأمير حمد طوسون بالاسكندرية . . . وزرت الإخوان المسلمين والداعية الشهيد حسن البنا . وزرت جمعية الهداية الإسلامية ورئيسها العلامة الخضر حسين ، وفي هذه الزيارة حصلت لنا منقبة عظمى ، ذلك أن الجمعية أقامت حفلاً تكريمياً على شرفي وشرف مسلمين من بلاد الصين حضر حفل فاروق فخطب المؤلف الشهير عبدالوهاب النجار قائلاً يا سبحان الله مسلم من المغرب الأقصى ومسلم من الشرق الأقصى ، يجتمعان اليوم في ضيافة جمعية الهداية الإسلامية التي ترفع لواء الإسلام في الشرق والغرب . كما زرت وتعرفت على العديد من الأساتذة والمحاضرين والعمداء للكليات ، ورجال الصحافة والفكر والمعرفة ، وشخصيات الأحزاب الوطنية ، والكل يقابلني بالوفاء والحب والعطف والتقدير وفاء لبلاد المغرب ، وملك المغرب ، وكنت أشعر بفخر واعتزاز ، لأن بلادنا لها مكانة مرموقة لدى الشعب المصري قاطبة . ولدى المسؤولين في السياسة والعلم والمعرفة . واحتج الكل وتضامن الكل مع الحركة التحريرية بالمغرب ، ورجالاته البررة ، وملكه الشهم البطل .



الحاج أحمد معنينو يُستقبل في القاهرة من طرف جمال عبد الناصر (1961)

خطاب الحاج أحمد معنينو في شفشاون
ذكرى مرور مدة سنة على زيارة الحسن الأول



الحاج أحمد معنينو يحاضر في شفشاون

أما بعد ،

أيها الإخوان الأكارم والأصدقاء الأجلاء ذوي الأفكار النيّرة والجد والاجتهاد في البحث والتنقيب عن مآثر هذا البلد الأمين ، لا فرق في ذلك بين ملوكه الأشاوس ورجاله البررة .

أيها السادة ، قبل الشروع في الحديث إليكم يجب أن أتقدم بالشكر والامتنان لجمعية الدعوة الإسلامية برئاسة عوض ولدي الأستاذ الأديب الكاتب المحاضر الشريف المثالي السيد علي بن أخينا الوطني الشهم والمؤرخ النبيه مولاي أحمد بن الأمين الريسوني الشفشاوني رحمه الله .

فإلى أخوته أتقدم بالشكر الجزيل على تفضله باستدعائي لمشاركتكم في هذا الاحتفال البهيج والذكرى المجيدة بمرور مائة سنة على زيارة سلطان المغرب المقدام ناضج الفكر وقوي الإرادة مولانا الحسن الأول بن السلطان الأمجد سيدي محمد بن مولانا عبدالرحمن بن هشام طيب الله ضريح الجميع .

إنها لفرصة سعيدة ومناسبة فريدة أن يجتمع الباحثون والكتّاب والمؤرخون لتبادل الرأي والكشف عن بعض المخبآت التي كانت سائدة في عصر هذا الملك الهمام .

الملك الذي تعد أيام ملكه في بلاد المغرب أيام ازدهار وتجديد لكيان الدولة وعمل دائب وجد واجتهاد في التفتح على مقتضيات العصر والخروج بمغربنا من التزمت والانزواء ، هاذان الصنفان اللذان تسربا لبلادنا في الظروف الأخيرة . واستوليا على أفكار المسؤولين حتى تحجرت وكادت تذهب بريح بلاد المغرب !

أقول هذا ، ولا أبالغ أن معركة إيسلي وانهزام الجيش المغربي فيها ، ثم احتلال تطوان بعد خمسة عشر عاماً من الانكسار الأول انكسار ثان ، فكل من فرنسا وإسبانيا انتصرت على الجيش المغربي ، الأمر الذي جعل السلطان اليقظ سيدي محمد بن عبدالرحمن بن هشام يراجع أمور الدولة ويجمع حوله

زمرة اليقظين من الشعب ويدرسون أسباب هذا الإنكسار ؟ فيجدون تطور الجيوش الأوروبة الأجنبية ، وتزمت الشعب المغربي ، الأمر الذي جعل جلالته يبادر بتدارك الأمر والعمل على تكوين جيش متطور .

اهتمام الملك الهمام الحسن الأول بتطوير المملكة واتخاذ الاجراءات التي تحقق أسمى الغايات بفتح باب إرسال البعثات العلمية إلى الشرق والغرب ، وتكوين السفارات المتعددة قصد الاتصال بالدول الأوروبية الناهضة ، وفتح مجال العمل المنتج معها للنهوض بالدولة المغربية . والخروج بها من الجمود ، تبعاً لمواقف والده المفدى محمد الرابع الذي فتح هذا الباب بإرسال البعثات الأولى والسفارات الأولى ، فجلالة الحسن الأول تبع خطوات أبيه خطوة خطوة ، وازدادت عنايته ومثابرته على تحصيل العلم باختيار حاشية من أعيان الدولة وساساتها وعلمائها ، وإسناد أمور الدولة إليهم قصد التعاون معهم .

المولى الحسن الأول يتحمل المسؤوليات في عهد والده . حيث عينه جلالة والده رئيساً للجيش المغربي لإخماد الفتن التي اجتاحت جبال «انتيفة» وقبائل السراغنة و «بني مسكين» وذلك سنة 1278 لأسباب الأمن بقبائل «سوس الأقصى» وعقب عودته منتصراً ظافراً اختارهُ والده لولاية عهده .

وعندما لفظ النفس الأخير السلطان الجليل محمد الرابع زوال يوم الخميس 18 رجب 1290 / سبتمبر 1873م اتفق جميع أعضاء الهيئة المخزنية وكبار العلماء والأعيان ورؤساء الجيش على مبايعة مولاي الحس ملكاً على المغرب ، وكتب البيعة بخطه عم المترجم له وصهره مولاي

العباس بن عبد الرحمن ، كما تحققت البيعة بفاس عقب مراكش ، فاجتمع العلماء والأشراف والوجهاء والأعيان وعامل المدينة إدريس السراج ، بدار عديّل الشهيرة ، واتفق الكل على تحرير البيعة وقرئت في مسجد أبي الجنود ، وعندما انتهى القرن الثالث عشر الهجري وجه رسالة جامعة مانعة . تشتمل على الأوامر والمواعظ والنواهي والنصائح وزعت بجميع نواحي المغرب .

مجهودات جلالته في الميدانين الدبلوماسي وتكوين الأطر العليا ، مع الاهتمام بوحدة السيادة المغربية والوحدة الترابية .

فنجد جلالته يفتتح أعماله الإيجابية بتأسيس المدرسة الحسنية بطنجة ، أخبر بها الطالب الطاهر الأوديبي في كتاب **الاستبصار** ، فقد قال : إنه درس بها ست سنوات ضمن البعثة المغربية التي كان ينتسب إليها ويذكر المواد العلمية التي كان يتلقاها مع الطلاب في هذه المؤسسة . مواد الحساب والهندسة والتنجيم والجغرافية واللغة العربية والمبادىء الإسلامية الأولية واللغات الأجنبية .

ويقول الأستاذ محمد المنوني الغالب أن هذه المدرسة كانت تكميلية حيث يقع بها إعداد الطلبة المهندسين الذين سيذهبون لإكمال دراستهم بأوريا .

وفي **إتحاف إعلام الناس** يشير لهذه المدرسة بشيء من المخالفة لما في الاستبصار ؟! فيذكر عن بعض البعثات أنهم أقاموا بطنجة ثلاث سنين أخذوا فيها مبادىء الحساب واللغة الأجنبية ويظهر أنه وجدت دروس عسكرية أكثر تنظيماً أوائل العهد الحسني الأول يدل لذلك هذه العبارة

الواردة في **سجل النفقات المخزنية** وضمن الصوائر 28 رجب 1292هـ ، وفيها أيضاً : دفعُ كسوتين للطلبة الذين ظهرت فيهم النجابة ، ممن يقرأون على (الخوجة) والخوجةُ هذا هو السيد محمد بن أحمد الخوجة التونسي ، أحد مدربي العسكر النظامي المغربي ، وقد ذكره محمد العربي المشرفي في **الحسام المشرفي** ضمن رؤوساء الجيش في عهد محمد الرابع ثم جاء قوله :

وأخيراً فإن الحسن الأول أيضاً أسّس ما يُشبه مدرسة مركزية للمدفعية بمدينة الجديدة ، وجاء في نفس المقال حول التلميذ عبدالسلام العلمي الذي أحرز على شهادة طبية من الدولة المصرية العربية في عهد مولاي الحسن الأوّل الذي بويع بالملك في رجب 1290هـ .

كما جاء في نفس الكلمة صفحة 108 تقييد من توجّه لبر النصارى بالأمر الشريف أسماه الله بتاريخ 1291هـ أمر مولانا أيّده الله بتعيين خمسة عشر مهندساً يتوجهون لبر النصارى لتعلم اللغات الأعجمية ، ولما وصلوا لطنجة أقاموا بها يتعلمون مبادىء الألسن ، ثم فُرّقوا على أجناس أروبا ، فتوجه ثلاثة لبلاد الإنجليز محمد الجباص الفاسي ، إدريس بن عبدالواحد النسب ، السيد الزبير اسكيرج ، وأقاموا بها خمسة أعوام ورجعوا للحضرة الشريفة ، كُلّف منهم إدريس بن عبدالواحد «بطبيعة طنجة» والزبير اسكيرج كُلّف بتركيب الموازين بالمراسي السعيدة ، والسيد الكباص في الخدمة الشريفة .

وتوجّه ثلاثة طلاب لإيطاليا وهم المختار الرعاي البوخاري ، محمد بناني الفاسي ، عبد السلام الأوديي فأقاموا بها تسعة أعوام ، ورجعوا للحضرة الشريفة .

وتوجّه ثلاثة طلاب لإسبانيا ، أحمد بن الحاج عبد السلام بنشقرون الفاسي . عبد السلام الرباطي ، محمد الشراطي الرباطي ، فأقاموا بها تسعة أعوام ورجعوا للخدمة الشريفة .

وتوجّه ثلاثة طلاب لفرنسا ، قاسم الأوديي ، الطاهر بالحاج الأوديي ، محمد بن الكعاب الشركي ، وهذا الطالب سأذكر لكم ترجمته بعد مفصلة استطعت الحصول عليها بواسطة حفيده من كنّاشة وأوراق تركها ، ونشرت هذه الترجمة في البحث العلمي عدد 25 . . . سنة 1976 يونيو صفحة 220 باسمي .

وتوجّه ثلاثة طلاب لدولة البروص ، الميلودي الرباطي ، الحسين الأوديي ، عبدالسلام الرسولي ، فأقاموا بها اثني عشر عاماً ورجعوا للدولة الشريفة .

وبتاريخ ربيع الثاني 1293هـ أمر جلالة السلطان الحسن الأول بتوجيه 25 شاباً لتعلم الفن العسكري باللغة الإنجليزية بجبل طارق ، وتتابعت البعثات لجبل طارق لتعلم المسائل العسكرية ، حتى بلغ مجموع الطلبة 280 طالباً .

وفي سنة 1301هـ توجّه بالأمر المولوي طلاب يتعلمون ضرب المدفع بواسطة الحاج محمد بركاش ويبلغ عدد الكل 27 طالباً من عدة مدن مغربية ، من طنجة ، ومن سلا ومن الرباط ، ومن العسكر . تعلم الكل ورجع للمغرب وتعيّن البعض وسرّح آخرون .

وفي عام 1302هـ عيّن مولانا أمير المؤمنين 12 طالباً لبلاد الفرنسيس لتعلم بارود الديناميت وتلغراف ونصب القناطر وصنعة الحدادة والنجارة .

وفي عام 1301هـ عيّن جلالته عدة طلبة لتعلم الحرف ببلاد النصارى على يد الأمين الحاج محمد بركاش والأمين التازي ، الطلبة من مكناس وفاس لاستخراج المعادن ، واستخراج الهند من الحديد ، وصنعة المدافع وجعبات المكاحل وتركيبها وخرطوشها للصيد والكوابس .

كل هذه المعلومات المفصلة القيمة نُقلت من تقييد من تعلم ببر النصارى .

وفي عام 1305هـ توجّهت بعثة أخرى من مراكش وغيرها واختير لكل فرد منها مهنة علمية يختص بها . ليرجع للمغرب ويُعلمها ويشتغل بها ، ويطول الكلام عنهم بتفصيل ، وأكتفي عن ذكر أسمائهم ونوعية الاختصاص حسب اللوائح .

ومن هذا العمل المتواصل ندرك جميعاً همة الحسن الأول وما كان يفكر فيه للنهوض بالوطن . كما يفهم الخطوط الرئيسية التي كانت جلالته مزمعة إجراءها في عهده ، وبكل أسف توقف منها الكثير بوفاته رحمه الله .

ونقلاً عن مجلة هسبريس عام 1954 مجلة 31 صفحة 121 بحثاً قيّماً بقلم المؤرخ جاك كيتّي حول المغاربة المتمرنين في مدرسة الهندسة العسكرية في نوبلي بفرنسا من عام 1885 إلى 1888 ، وتحتوي هذه البعثة على 12 طالباً وقد ذكر تفاصيل هامة عن الدراسة والمواد المدروسة والأوقات بكل دقة ، وقد أحكم الطلاب معرفتهم للدروس العملية والتطبيقية ورجعوا لخدمة الوطن .

وجاء في كلمتي المنشورة بدعوة الحق عدد 3 سنة 14 صفحة 150 تحت عنوان : **رسالة الدولة العلوية من البدء ، ضمان حرية الوطن ،**

واستقرار البلاد ، وانتشار دين الله .

ولقد صدر في عهد الملك الهمام الحسن الأول الاهتمام بإعداد الأطر المختلفة واستطاع جلالته أن يؤسس (المكينة) الشهيرة لصنع السلاح بفاس ، واستجلب الخبراء لتدريب الجيش المغربي وتكوينه على النظم الحديثة .

كما جاء في كلمتي الأخرى المنشورة بعدد دعوة الحق الرابع السنة 12 لصفحة 178 تحت عنوان : **حلقات من تاريخنا المجيد ، تكوين الأطر في عهد الحسن الأوّل .**

وقد جاء فيها أن الشرط في انتخاب الطلاب صغر السن مع الذكاء والنجابة وحسن السلوك ، وقد نقلت فيها الحديث عن سبع بعثات وُجّهت للخارج ، بكل تفصيل ودقة ، وختمتها بقولي : وهكذا نجد هذا العهد الشريف يُسيّر النهضة الفكرية بالبعثات العلمية لمختلف دول العالم ، لتحوز دولتنا الفتية مكانتها من بين تلك الدول الراقية ، في عهد الحسن الأوّل طيب الله ضريحه .

وجاء في نصيحة هذا الملك بمناسبة انتهاء القرن الثالث عشر :

لقد حذر الشعب المغربي أن يستعبد الأحرار ، أو استرقاقهم بدون موجب شرعي ، وعهد إلى عمّاله وولاة أمره أن يُلزموا أنفسهم وأهاليهم بطاعة الله ، ويدلوا رعيتهم عليها ، ويعلمهم سنة رسول الله ﷺ ، ويلزم كل قرية ومدشر ودوار مشارطة طالب علم يعلم أولادهم ويفقههم في دينهم ، ويقيم لهم الصلوات الخمس في أوقاتها ، ويحضهم على الأذان الدال على إيمان الدار ، وأن يتفقدوا أحوال الفقراء ، الذين تعذرت عليهم

الأرزاق ، وألبسهم التعفف ثوب الغنى ! وهم في ضيق من الإملاق .
بصدقة التطوع التي هي للحسنات كالأم الولود ؟

بهذه الوصايا ، وبهذه الهمة كان الملك الحسن الأول يسير بشعبه متمسكاً بدينه ومهتماً بماضيه وحاضره ومستقبله .

وهنا نثبت نص ظهيرين شريفين صدرا من جلالته لخديمه محمد بركاش .

النص الأول : خديمنا الأرضي الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وبعد : فقد اقتضى نظرنا الشريف تعيين أناس (طرانسيت) (والمكينة) وعلم البحر وأن يُفرِّقوا على النواب لبابورات الإنجليز والفرنسيس وإسبانيول والألمان والطليان ، وعددهم ستة لكل جنس ، اثنان من الستة يختصون بتعليم طرانسيت والماكينة بمدارس تعلم ذلك العلم عند ذلك الجنس . وأربعة لتعلم علم البحر ، وهم الذين يفرقون على البابورات ، ويكون صائرهم على جانب المخزن ، إذ المقصود هو تعلمهم ، وعليه فكلِّم نواب الأجناس المذكورين في ذلك ، وتفاوض معهم فيه ، وأعلمنا بجوابهم لك ، لنأمر بما يكون عليه العمل في ذلك ، وعجِّل ولا بد ، والسلام ، 10 رجب 1299هـ .

والنص الثاني : بعد الافتتاح يخاطب الأمبراطور غليوم عاهل ألمانيا

أما بعد ، فإن المحبة والصحبة والصداقة والثقة وحسن الظن والاعتقاد الجميل أوجبت توجيه نخبة نجباء أخيار من هذه الايّالة لبلادكم الرفيعة المصونة ، بقصد الزيادة في تلقيح ذكائهم ، وتهذيب أخلاقهم ، بآداب السياسة العالمية ، من العلوم العسكرية والطبجية ، وما في معناهما التي فُقتم

بها . وانفردتم بتحرير علومها وتدقيقها ومعرفتها ، ومعرفتها على حقيقتها ، وانتخبنا من يتوجه معهم وهو خديمنا الأرضي الأنجح الحاج محمد بن خديمنا الأرضي الأنصح الأرشد الخيّر محمد بركاش ، ونحن على يقين بأنكم تقابلونهم بزائد القبول ، وتبلغونهم من الاعتناء والمبرّة غاية المأمول ، ويحظى من معه من المتعلمين المشار إليهم من جانبكم الرفيع بتمام القبول والبرور والاعتناء ، حتى يحصلوا في أقرب وقت على المراد ، كما ينبغي ويراد ، وحرر في 24 محرم / فاتح 1302هـ .

سادتي الأكارم لقد استعرضت على أنظاركم هذه النقول التي توضح همة الملك الحسن الأول في توجيه البعثات العلمية إلى الخارج للقيام بتعلم سائر أنواع علوم التقدم والنهضة الفكرية والعلمية والتكنولوجية . حتى يحقق لمغربنا المكانة اللائقة بها ، ويعيد لها الازدهار والتقدم والرفعة كما كان ذلك في عهد أسلافه الكرام ، الملك المجاهد البطل المولى إسماعيل الذي كان يخطب وُده دول العالم ، والملك الهمام محمد بن عبدالله الذي اشتهر المغرب في عهده أي اشتهار ، وأصبح من الدول الكبار ، هكذا كنا وهكذا كان يعمل الحسن الأول للرجوع بالشعب المغربي إلى قمة الأمجاد . ويُسعدني أن أقدّم لكم بطاقة تعريف بالطالب المجد السيد محمد بن الكعّاب الشركي ذلكم الطالب الذي سعدت بالوقوف على كنّاشة وأوراق له سجل بهما مسايرة دراسته ، وقد أفردت له ترجمة نُشرت بمجلة البحث العلمي ، عدد 25 سنة تاريخ 1976 والكل جاد به حفيده السيد محمد بن الكعّاب موظف بالصحة بمكناس .

ولد الطالب محمد بن الكعّاب الشركي عام 1274هـ بفاس ، تربى في

أحضان الفضيلة ودخل الكتاب القرآني ودرس ما شاء الله من مبادىء العلوم العربية والإسلامية على عدة علماء أعلام ، وفي سنة 1891م تهيأت بعثة من الطلبة المغاربة للدراسة بالخارج وحصل الاختيار عليه من بينهم ، أرسلت البعثة أوّلاً لمدينة طنجة لدراسة مبادىء العلوم التكوينية .

أقول لا شك أن المدرسة الحسنية بطنجة المتحدث عنها سابقاً هي مكان التكوين الأول للبعثات عموماً .

دامت هذه الدراسة ست سنوات ونصف ، وفي عام 1297هـ توجهت البعثة لباريس لدراسة الهندسة الصناعية والعسكرية . مع دراسة اللغات الأجنبية ، هذا ما جاء في تاريخ ابن زيدان ، ويقول الأستاذ المنوني في كتابه «**مظاهر يقظة المغرب الحديث**» ص 15 ما نصه : وتوجّه منهم أي الطلبة البعثة الحسنية لفرنسا ثلاثة طلاب ، قاسم الوديي ، الطاهر الوديي ، محمد بن الكعّاب الشركي هذا . وقد جاء في رسالة وردت منه من بلجيكا يقول فيها :

وبعد ، كما هو في علمكم وأننا كنا بعثنا من جملة الطلبة الذين تعينوا لقراءة اللغة الرومية ، في منتهى رجب 1291هـ ، ثم بعد الإقامة نحو الست سنوات ونصف بثغر طنجة كنا سافرنا في 18 من ذي الحجة 1297هـ . إلى مدينة باريس لتعلم اللغة الفرنسية ، وكنا بقينا بالمصر المذكور أعلاه لتعلم ما كنا توجهنا بصدده مدة أربعة أعوام ونصف أعني إلى 22 شعبان عام 1301هـ . اليوم الذي أتانا فيه الأمر الشريف على يد الحاج محمد بركاش في شأن انتقالنا من بلد فرنسا إلى بلد بلجيكا ، لنقف على من كان بُعث من المتعلمين إلى بلد بلجيكا

لأخذ علوم الصنائع المفقودة من المغرب ، ولقبول الحاجات المطلوبة بإذن الحضرة العالية بالله عند جماعة ككريل quacrille كبترية المدفع ، ومكينات فبريكات القرطاس ، وعند رجوع المتعلمين وتوجيه ما ذكر من الحاجات كنا طلبنا من وزير الأمور البرّانية أي الخارجية السيد محمد بركاش أن يرفع أمرنا لسيدنا نصره الله بصلة الرحم .

ثم يقول : إنه تجوّل خلال هذه المدة بعدة عواصم بأوربا للدراسة والتجوّل زار من صنفها موسكو . ومكث في رحلة طلابيّة نحو أربعة عشر عاماً بفرنسا ثم بلجيكا .

وبعد عودته للوطن المفدّى عيّن موظفاً مخزنياً في فن الهندسة «بمكينة مولاي الحسن الأول بفاس ، ولشدة معرفته وتضلعه في الفن ، استطاع أن يترك لمسات من عمل يده للتاريخ ؛ وهي عبارة عن عدة تصاميم يدوية ، تتعلق بالآلات الصناعية في ميدان السلاح الثقيل (المدافع) والخفيف بما في ذلك (القرطاس) .

وقد اهتديت للحصول على بعضها من حفيده واستخرجت منها نظائر فنوغرافية لتنشر ضمن هذا المقال أو الترجمة ، والساعة أوجه شكري لحفيده ، وأقف عند هذا الحد في ترجمته ، والغرض من عرض هذا التعريف على أنظار المؤتمرين هو الذكرى المجيدة لهذا الملك العبقري الذي يتحدث عنه التاريخ بالأمجاد .

سادتي الأكارم إنه لحري بالمحاضر في هذه المناسبة أن يعرض على أنظاركم عدة معلومات غريرة عن طلبات البعثات الحسنية فأضيف لكم هذه المعلومات التي نشرتها في مجلة دعوة الحق العدد الأول السنة 12

تحت عنوان : **مذكرة طالب مغربي أرسل في بعثة مغربية إلى إيطاليا في عهد الحسن الأول** .

لقد توفقت للحصول على هذه المذكرة القيمة من أحد طلاب البعثة الحسنية النجباء ، هو الطالب السيد الحسين الزعري السلوي الذي كان يشغل منصب خليفة باشاسلا في الأربعينيات ، كان يرد علينا لمدرسة الأميرة للاعائشة حي الطالعة بسلا لوجود ولديه الدكتور إدريس الزعري وشقيقه المرحوم بكرم الله يتابعان الدراسة عندي ، فكان هذا الرجل الجليل متواضعاً شغوفاً بالعلم والمعرفة ، يحضر عندي المرة تلو الأخرى للتعرف على نصيب أولاده في الدراسة ، ويجري بيني وبينه حديث حول بعثة الحسن الأول لإيطاليا ، فرجوت منه أن يُعرفني بهذه البعثة في تقرير يحرره بقلمه نظراً لكون الكلام على هذه البعثات قليل الوجوه ونادر ، ولا يوجد إلا في **المخطوطات المقبورة** ، فتفضل رحمه الله وحرر إلي قصتها في دفتر خاص سجّل به الأحداث والتواريخ وعدد الطلاب والتعريف بهويتهم ومراحل تعلمهم وكيف انتظم شملهم ، فأرسلوا أولاً إلى طنجة ومنها لإيطاليا ، وكيف وُزعوا على الكليات والمدارس ، فكان لهذا التقييد البديع والتقرير المفيد وقع جميل في ذاكرتي ، فحررت الكلمة المذكورة ونشرتها بدعوة الحق عدد 1 سنة 12 صفحة 143 تاريخ نوفمبر 1960 .

عثرنا على مذكرة مفيدة كتبها بخط يده طالب مغربي أرسل في إحدى البعثات المغربية إلى ايطاليا للتدريب على الأعمال العسكرية والفنية ، رغم أن صاحبها لم يلتزم فيها الأسلوب الأدبي والعرض الأنيق . فإنّه ضمنها ملاحظاته وارتساماته عن أعماله وأعمال زملائه هناك ، ضمنها وجهة نظره

في الأحوال السائدة يومئذ ومذكراً بمقدار اهتمام المسؤولين عن وضعية أبناء الوطن المبعوثين للخارج ، ونورد بعض ما أثبته الكاتب بشيء من التصرف ليصبح صالحاً للنشر ، يقول الطالب : لما استوعب عاهلنا المفدى الدبلوماسي العظيم مولانا الحسن الأول الأحوال السياسية الجارية في وقته ، عزم على أن ينهض برعيته إلى درجة أرقى ، ولذلك أرسل سيادة نائبه بطنجة السيد محمد بركاش قصد المخابرة مع السادة السفراء في شأن إرسال بعض الشبان للتعليم في مدارس أوربا والاطلاع على الفنون العصرية ، وهكذا ذهبت البعثة الأولى إلى العواصم الآتية : برلين ، طورينو ، باريس ، مدريد . وكانت البعثة تتركب من شبان ينتسبون لمدن طنجة ، تطوان ، فاس ، الرباط ، سلا .

إن الظهير السابق الذكر الصادر عام 1299هـ الذي نتعرض له الآن ، حيث كانت البعثة الثانية متركبة من فتيان مغاربة تتراوح أعمارهم بين 13–16 سنة وقام السفير الإيطالي جنطيلي Jantili يتجول لاختيار الفتيان المرشحين للذهاب إلى إيطاليا ، عشرة من الرباط ، وخمسة من سلا هو واحد منهم ، وأربعة من العرائش ، وثلاثة من طنجة ، واثنان من فاس .

ويقول الطالب : توجّهنا إلى طنجة في فاتح 1306هـ 7 سبتمبر 1888 ومكثنا 18 يوماً بطنجة . ريثما هيئت لنا الكساوي ، وفي اليوم الثامن عشر من الشهر ، رست الباخرة الحربية ضانضولو Dandolo الإيطالية ، نقلتنا إلى إيطاليا ، وبعد يومين رست بنا بجنوة ، وهناك وجدنا في استقابلنا مدير المدرسة التي سنلتحق بها . وهو السنيور (أوغُستين ديقروحي) وبعد أن بتنا ليلتنا بالفندق اتجهنا على طريق السكة الحديدية ، إلى مدينة طورينو Torino الكائنة بالسفح (بمينطي) بين نصف الدائرة

لجبال الألب ، وعند الوصول أقيمت لنا حفلة بالمدرسة بمجرد دخولنا إليها . واستقبلنا التلاميذ والأساتذة أحسن استقبال ، وتسمى هذه المدرسة (**المدرسة الملكية الدولية الإيطالية**) وشعارها **الإخاء للأجنبي** ، كل الطلبة الموجودين بها هم إخوة .

ولا بأس أن أعرج على ذكر البعثات الدبلوماسية التي وجهها هذا الملك العبقري الناضج الفكر لحل المشاكل وتوطئة أسباب التعاون بين الدول .

لم يكن للدولة المغربية منذ عهودها الأولى سفراء مستوطنون لدى الدول بل كانوا كلما حدث ما يستوجب الاتصال والتفاهم ، تهيىء الدولة أشخاصاً مقتدرين للقيام بسفارة ما إلى دولة أو دول ؛ تتهيأ وتستعد وتنتقل لأروبا قصد أداء واجبها ،وتبليغ أمانيها ، وترجع بسلام .

هكذا تمشت الدولة العلوية في كل العصور إلى عصر الاستقلال الأخير ، بتضحية ملك الحرية والاستقلال محمد الخامس طيب الله ضريحه ، ففي عهده الزاهر أصبح للمغرب بجل بلاد أروبا وأمريكا وافريقيا واستراليا سفراء قارّون ، أما عهد الحسن الأول فقد كان السلوك القديم هو المعتمد ، ولكن عهده ازدهر وتفتح على الحياة الجديدة بأوربا ، وأخذت البعثات الدبلوماسية تذهب بتتابع لتحل المشاكل ، وتفتح المجال للتعاون المادي والأدبي .

ويسعدني أن أتقدم لجنابكم بالبعض من هذه السفارات وأخص منها ما لدي من معلومات هامة حولها ، لا تزال غير معروفة ولا مدروسة ! ومن واجبنا نحن الجيل الحاضر أن نهتم بها ونبحث عنها ونتتبع ما كتب حولها ونستقرىء ذلك ونقيمه حتى نتعرف على النتائج التي استفادها

المغرب العزيز منها حالاً ومآلاً .

نعم أيها السادة ، إنَّ الملك الهمام الحسن الأول له القدح المعلى في هذا الميدان وتعد سفاراته بالعشرات لمختلف الدول والأجناس ، ولقد استفادت الدولة والأمة من الذين كان يقع عليهم اختيار صاحب الجلالة .

لا شك أن أعرف الناس بعظمة الدولة المغربية في عهد إسماعيل ، وقد كانت لها صولة وقوة عالمية يُخشى بأسها ويُخطب ودها ، وقد شرقت وغربت ، كما أن دولة محمد بن عبدالله السلطان العالم ضربت الرقم القياسي في التقدم والازدهار وتبادل السفارات ، وهذا أمر محسوس وملموس لا يحتاج لتبيان أو وضوح ، ولكن بسبب ما ارتكب من الأغلاط تسببت للمغرب في عدة نكسات رجعت به إلى الوراء ! فتيقظ السلطان محمد بن عبدالرحمن عقب الانكسار في وقعة إيسلي 1844 ، من طرف الفرنسيين ، وبعد خمسة عشر عاماً وقع احتلال تطوان من طرف الإسبانيين وأصبح الاستعمار يطمع في أرضنا وذلك ما سبب الرجات التي أقلقت الدولة المغربية ، والأمة قاطبة ، فأصبح التفكير سائداً بين العرش والشعب للبحث عن المخرج ؟ فشرع السلطان الأكرم محمد ابن عبدالرحمن ينشيء جيشه المغربي على الطرق الحديثة يعني التكوين العسكري والسلاح الجديد والتكنولوجية الحديثة ، وذلك ما أعربت عنه في المقال السابق الذكر في أول المحاضرة ، فليراجع .

ولما جاء عهد الحسن الأول كان الجيش المغربي قد خطا خطوات في ميدان التجديد والتكوين ، وكان لزاماً إيجاد السفراء للحصول على التعاون التقني والعلمي وأصبح المغرب في هذا العهد يرتقي ويزدهر ، لأن

الذي يرأسه ملك عبقري وهب حياته من أجل عظمة المغرب وأمجاد المغرب ، فشرع أعزه الله في بعث البعثات العلمية وبعث السفارات المغربية لتأخذ بيد هذه الطوائف من أبناء المغرب لتتزود بزاد المعرفة والنهضة الفكرية والعلمية والعسكرية والاقتصادية والعمرانية

كان هذا الملك يحارب في الوجهتين يحارب الفتن ويقضي على الثورات المصطنعة حيث كان يلزم ركوب فرسه ويتنقل بأطراف البلاد لنشر الأمن والطمأنينة ، وفي الجانب الآخر ينشر بوادر النهضة واليقظة ، فيبعث البعوث العلمية والدبلوماسية

وإني أقتصر على ذكر بعثة الحسن الأول لسفارة السفير المقتدر السيد محمد الزبدي الرباطي وبجانبه السيد غنّام القائم مقام ، وكاتب البعثة العالم الأديب الميقاتي الشهير إدريس الجعيدي السلوي الذي خلّد لهذه السفارة رحلته الشهيرة تحت عنوان **إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار** وذلك في صيف 1876 وكانت الغاية من هذه الرحلة التجوّل في بعض الدول الأوروبية ، سفارة مغربية متنقلة إلى فرنسا وبلجيكا وبريطانيا وإيطاليا ، وقد خرج أعضاء السفارة في رحلتهم بأوربا على متن (فركاطة) من مرسي طنجة ووصلوا إلى مرسيليا ثم باريس حيث استقبلهم رئيس الجمهورية ماكاهون ثم انتقلوا إلى بلجيكا فاستقبلهم ملكها ليوبولد الثاني ثم رحلوا إلى بريطانيا حيث استقبلتهم الملكة فكتوريا ، ثم رجعوا إلى باريس ومنها إلى روما حيث استقبلهم الملك فكتور أمانويل الثاني ، ومنها عادوا إلى جنوة ، ثم الرجوع لطنجة بالمغرب وذلك أواسط سبتمبر 1876 ، وقد كتب عن هذه المرحلة ابن زيدان في كتابه الإتحاف في الجزء الثاني كما أن هذه السفارة حملت معها لدول أوربا الكثير من الخيل والهدايا النفيسة والأموال الكثيرة التي تبرعت

بها هناك على دور الخيرية والمكفوفين والعجزة .

أما مهمتها فقد أعرب عنها كاتب الرحلة بتفصيل وتدقيق في نحو ثلاثمائة ورقة ، وهي بحق رحلة مُوَفقة ، يعمل بعض الشباب الحي على تصحيحها وترتيبها وتنظيمها وتقديمها الجامعي لنيل شهادة دبلوم الدراسات العليا . وبهذا العمل الجليل ستبرز هذه الرحلة للطبع في حلة قشيبة وأبحاث مفيدة ، وتعاليق مهمة والفضل كل الفضل يرجع إلى جلالة الملك الحسن الأول الذي قاد المغرب أيّام ملكه إلى التقدم والازدهار ، وإلى تصفية كل المتبطات ، والقضاء على كل المشعوذين ، والدجاجلة والمتلاعبين المسخرين من لدن أروبا التي كانت ترى في احتلال المغرب ربحاً مادياً لها ! فكانت الدول الكبرى الأروبية إذاك في صراع وتسابق ، فانعقدت المؤتمرات بمدريد ثم بالجزيرة الخضراء فزيارة غليوم لطنجة . والدارس لهذه التنقلات والمسابقات والمناورات يتحقق بأن بلدنا المغرب كان كالعروس الجميلة . وكانت أروبا بسائر دولها الكبرى تتسابق وتتهافت للاستيلاء عليه ، وبقي هذا التسابق حتى نجحت فرنسا في احتلال البلاد باسم الحماية ! ومنحت قسطاً منه لحبيبتها إسبانيا ! وبلغ بها الطيش حتى أصبحت تدعو دولة المغرب «فرنسا وراء البحار ، ولكن همة الملوك الأشاوس وفي المقدمة الملك الهمام محمد الخامس طيب الله ثراه وقف في وجهها وقفة الصمود . فامتدت يدها الأثيمة ، واختطفته وأسرته الكريمة وفي القمة جلالة الحسن الثاني المنصور بالله ، ولكن الأمة المغربية التي تعترف لأهل الفضل بفضلهم ، لم تقف مكتوفة اليد ، بل تحركت ودافعت وقاتلت حتى جاء نصر الله وضاق الخناق على أعداء الله ، ورجع ملك البلاد متوجاً بتاج العز والنصر ، حاملاً في يمناه الحرية والاستقلال .

خطاب الحاج أحمد معنينو في أجدير
بمناسبة مرور مائة عام على ولادة البطل
محمد بن عبدالكريم الخطابي



البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي في
حضرة جلالة الملك محمد الخامس

ولد محمد بن عبدالكريم ونشأ في بيت من أشهر بيوت العلم والكرم والشرف بالريف وبعد أن أتم دراسته العليا بالقرويين بفاس رجع إلى مسقط رأسه فأسند إليه القضاء في مدينة مليلية ، والتدريس في أحد معاهدها ، تولى

خطة الصحافة يسهر على جريدة تصدر هناك باللغة العربية ، ويراسل بعض الصحف ، وبعد قضاء مدة هناك وتوليه خطة أسمى من الأولى رجع لمسقط رأسه بأجدير حيث وجد الاستعمار الإسباني يبيّتُ الغدر والاحتلال لبلاده . وقد اطلع على جل المؤامرات التي كانت تحبك داخل مدينة مليلية ، حيث كانت مهمته شاقة ، في ظاهره قاضي المحكمة الشرعية ! وفي باطنه رجل يهتمُّ ببلاده ويتتبع الدوائر السياسية وما يروج فيها من مؤامرات للاستيلاء على بلاد الريف ! وهكذا استطاع بعد وفاة والده القاضي عبدالكريم الذي يقال إنه مات مسموماً ! بواسطة مكيدة اتخذها ضده الاستعمار وأصبح السيد محمد الخطابي وجهاً لوجهٍ مع الاستعمار الإسباني ! وأصبح يتخذ الأسباب والوسائل ، وفتح الاتصال برجال الريف البررة ، يقوي عزيمتهم ، ويعرفهم بما يبيت للبلاد . اتفقت كلمتهم مع جماعة قليلة العدد من الرجال البررة قوية الإيمان بالله ، وبحث في الحياة وشرع في المقاومة المسلّحة ضد الدولة الإسبانية فجاءت الوقعة الأولى تحمل الاعتبار والتذكير إنها وقعة أنوال الخالدة ؟ وعقبها حيث كان الانتشار في الصفوف الاستعمارية ، أصبحت الحرب بين الطرفين بين أخذ ورد ! فكانت عدة وقائع كلها انتصار باهر لجانب رجال التحرير وانكسار عظيم لجانب المستعمرين ! وهكذا بقيت الحرب إلى سنة 1924 حيث بلغ الرعب والفزع للأوساط الدولية الاستعمارية وانعقدت المؤتمرات للبحث والتخطيط قصد وقف هذا المارد المفزع ! وفي هذه السنة كادت إسبانيا أن تخضع للصلح المشروط ، ولكن الدول الاستعمارية مَدّت لها يد العون قائلة : إنها لا تسمح للتاريخ أن يسجل (فريق من المغاربة ضئيل في العدّة

والعُدد يطرد دولة أوروبية متمدنة لها جيشها النظامي ، وقوتها الحربية ! وكيانها الدولي . وحيث إذ لم تجد فرنسا محيداً للدخول للمعركة ، ضد الريف بجانب الإسبان درءاً للخطر فأصبحت الثورة الريفية تقابل دولتين أوروبيتين منظمتين ، لهما حس عظيم في المجتمع الدولي ! ولم يقف الأمر عند هذا الحد . حيث تطوعت عدة دول مستعمرة بالعون والإمداد بالأسلحة والجيش والزاد والمال والجنود وأدوات الفتك يتعاونون معهما على وقف تيار الثورة العارمة التي كانت تعمل على تطهير الأرض المغربية من خزي الاحتلال ؟ وإن الحديث عن الثورة وعظمتها وأهوالها ومواقفها كتبت فيها عشرات المؤلفات وبكل لغات العالم ، ولا يزال الكثير من مواقفها وانتصاراتها مجهولاً وغير معروف : وجاءت سنة 1926 وحصل ما حصل : ولله الأمر من قبل ومن بعد ، حصل اندحار في الصفوف نظراً لوجود مليون جندي في الصفوف الحربية يحيط بالثورة من كل الجوانب براً وبحراً وجواً ، مع انتشار الخونة والمغرر بهم من السكان ، وعقب هاته الحالة المزعجة جمع الأمير حوله رجاله الأوفياء لتقييم الحالة واتخاذ القرار الحاسم في الموضوع .

وعند دراسة الأوضاع تحقق المؤتمرون من التصدع الحاصل في الصفوف والتفرقة والنكول وأنه لا محيد عن الاستسلام أو الاستشهاد ! ورجحت كفة الاستسلام حفاظاً على الأرواح البشرية ! وحتى لا يتعرض الريف لضربة أقوى مما أصابه ثم حصل تبادل الرأي لمن يقع هذا الاستسلام ؟ حيث كانت العروض من الجانبين تعرض على الرجال البررة ! وتغلب رأي الجماعة القائلة بالاستسلام للجانب الفرنسي ! نظراً

لما سطره التاريخ في قضية الثورة العظيمة بالجزائر (ثورة القائد عبدالقادر محي الدين الجزائري ! التي كانت معاملته من طرف الفرنسيين عقب الاستسلام حسنة ومشرفة) ، وفعلاً حصل الاستسلام بعد الاتفاقية إلى الفرنسيين الأمير وجماعة ، أسرته وأقاربه من رجالات الوفاء إليه نفوا جميعاً إلى جزر المحيط الهندي حيث استقروا هناك مدة تقرب من عشرين عاماً كانوا خلالها ينتظرون فرج الله ، وشأن المؤمنين إذا اشتدت الكروب يجيىء الفرج .

اشتــدي أزمـــةُ تنفرج   قد آذان صبحك بالبلَج

نعم جاءت عناية الله ورضاه وفرجه ، وتمكن الأمير ومن معه من النزول بأرض مصر العظيمة ، حراً طليقاً واستقبله الشعب المصري بكل تقدير وإعظام وإجلال ! حكومة وشعباً وملكاً ! واستقرّ به المقام هناك واستراح من الأسر ، وأعـاد الكرة في طريق الجهاد السياسي لتحرير بلاده ، وانتظمت هناك جمعية أبناء الشمال الإفريقي العاملين في الميدان السياسي لتحرير شعوبهم ، وأجمعت كلمتهم على اتخاذه رئيساً لجمعيتهم فأصبحت جمعية الشمال الأفريقي المسلم .

وداوم رحمه الله على الاتصال برجالات الشرق والغرب . وكانت حياته هي نفس الحياة الأولى لم تبطره النعمة . ولم يتبدل عن حياته التقشفية ، التي ألفها منذ صباه فلم تبطره النعمة ولا افزعه المظهر والغرور ! وبقي يكافح وينافخ حتى جاءه نذير الموت ! ولقاء الله ، وذلك بتاريخ 5 يبراير 1963 ودفن بالقاهرة .

ونظراً لهذه الحفلة المباركة والذكرى المجيدة لا بأس أن أشير إلى أن بلاد الريف تنقسم إلى قسمين .

فالقبائل التي يستقرُّ وسطها سمو الأمير محمد عبدالكريم وأسرته بمدينة اجدير قرب الحسيمة تسمى الريف .

وقبائل هذه المنطقة هي كما يأتي : بني ورياغل ، تمسمان ، بني اوليشك تيفرسيت ، بني توزين ، بقيوة ، بني لطخت ، بني بويفراح ، المطارسة ، بني كيل ، بني سدات ، كتامة ، تركنيست ، بني مزدوي ، بني عمارت ، بني افكير ، بني أحمد ، بني بوشيبت ، تغزوت ، بني بونصر ، بني خنوس ، زرقان .

وعمالة هاته القبائل كلها مدينة الحسيمة : وكل هذه القبائل تتصف بالرجولة والبطولة ، كانت بجانب الثورة تعززها وتؤازرها ، وتسير في ركابها . هذه نظرة مختصرة عن إمام المجاهدين البطل محمد بن عبدالكريم الخطابي الذي قاد الحركة التحررية من سنة 21 إلى سنة 26 وأنها بحق رفعت قدر المغرب عالياً . وتحدث عليها سكان العالم ، بل اقتدى بها عدة زعماء في تحرير أوطانهم من خزي الاحتلال . فكانوا يتخذون منها خططه الحربية التي كانت تحير ألباب المستعمرين وتدكّهم دكًّا وتضربهم الضربات القاضية ، لأن خططه لم تسبق ! وقد تحدث عدة رجالات في العالم عن مكانة هذا البطل وما قدمه من خدمات جلى لا لبلاد المغرب فقط ، ولكن لبلاد العالم أجمع ! لأن النموذج الذي اخترعه وصار عليه في حربه التحررية أصاب الهدف الأسمى .

لا بأس أن أذكركم بانطلاقة هذه الثورة ففي يوم الأحد 8 قعدة

1339هـ 17 يوليوز 1921 بدأت الانطلاقة الكبرى ووقع الرعب الشديد فتصدر لرد العدوان والثقة باللّٰه الماهدان الخالدان محمد بن عمر ومحمد بن أحمد نعم هجم العدو مرة ثانية عند بزوغ الشمس ، وتقابل الفريقان (فرد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال) ونادى محمد بن عبدالكريم وسط المجاهدين الله أكبر . لا أرضى إلا بعنق يسترني) نفسه قائد حركة العدو ! اللّٰهم استجب دعائنا ، ولا تخيب رجائنا ، آمين ، وتمثل الأمير بقول أبي جعفر المنصور .

وخطة ذل تجعل الموت دونها : نقول لها للموت أهلاً ومرحباً وفي 10 قعدة 1339هـ وردت رسالة من القائد محمد بن عمر فكان الجواب من الأمير أما بعد فلا يعدم جيشاً نصراً فيه مثلكم ! جعلكم الله سيفاً من سيوفه ووبالاً على عدوه وتيقنوا بالنصر إن شاء الله . ثم حضر المعركة بعد حين وخطب قائلاً : ما لي أراكم قانطين : أجزعتم بموت أحدكم ؟ إنما الجزع والبكاء للنساء دون الرجال ! ؟ فأجابه القائد المستفسر سيدي إننا رجال لا نرضى بذل ، النصر الذي نريده من الله أبطأ علينا فدخل المعركة بنفسه ، وقد بلغت اغربيين الكور والرصاص يتهاطل بين الأسوار والصواعق تصب فوق الرؤوس ، وما كان من قائد المعركة إلا أن يقول قد بلغت الروح الحناجر وذهب الله بريحه واليوم له ما بعده !

مساء 11 قعدة تاريخه سلمت قشلة اغربيين حوالى الساعة 5 مساء وبلغ الخوف والجزع قلوب جيش العدو ! خمس مائة مجاهد تحاصر 20 ألف جندي نظامياً (فاعتبروا يا أولي الابصار) ، الجهاد إخلاص ونية ، لا عدة ولا عدد أصبح النظر إلى (أنوال) عبارة عن نار مشتعلة في المعسكر ؟

الخيل والدواب والجرارات والشاحنات الكلّ راجع للوراء هارباً ! والجيوش تتلاطم كالأمواج ؟ مزدحمة هاربة وانتهت المعركة بنصر مبين في جانب المجاهدين . والانتصار والاندحار . في جانب المستعمرين ، وظهرت عزائم السماء ، وهذا العالم الشاسع سيدي محمد الوكيلي الريفي المدعو بولحية) فقد وعيه مخموراً بالنصر والفرح وسط الأبواب يصفق ويُهلل ويكبر .

لقد تم الانتصار العظيم في هذه الوقعة الذي اختصرت القول فيها على أسماعكم ، سادتي يوم الجمعة 2 قعدة 3 سنة 1399هـ 21 ماي 1920 ويوم السبت مباشرة أجمعت القبائل الريفية المجاهدة في (قرية اجدير) على مبايعة الأمير على الجهاد في سبيل الله وشرف الاسم والمغرب والعرش ، ومنذ هذا التاريخ المشرق والثورة تحصد العدو حصداً ، والأمة الريفية تبيع الأنفس رخيصة في سبيل نصرة الإسلام ، ومحق العدو والجنود المجاهدة تتساقط على جنود العدو (النسور) لا تبقي ولا تذر .

ضربة أنوال ضربة قاتلة لجيوش الاستعمار قاطبة ، عقب هذا الانتصار ، أفرغ الإسبان نحو 300 قشلة ، بدون قتال لأن الوقعة كانت ضربة مدوية بالعالم بأسره ؟ ومنها انتظمت الثورة وتزودت بالمؤن والأسلحة التي تركها العدو غنيمة للمجاهدين ! سادتي يصعب عليّ في هذه الفترة الوجيزة تتبع الأحداث ست سنوات بلغ فيها نصر المجاهدين ضد العدو المحتل أقصى المراد . وشاع خبرها بين أطراف المعمور !

أيها السادات الأكارم

إنني وايم الله أعدُّ هاته الساعة من أحسن ساعات العمر ، لماذا لأنني

أتحدث لأبناء وطني العزيز وإخواني في العقيدة والتشريع والتربة والأرومة إنه حديث العلماء الأوفياء للشريعة السمحاء ، العلماء الذين سبق انعقاد مؤتمرهم الثامن بين ظهرانكم أبناء الريف الأبطال ، ويشرفنا أيضاً أن أتحدث لكم عن التقسيم الإداري لبلاد الريف فالقسمة التي قدمت الكلام عليها تسمى (ناحية الريف) وهي مستقرُّ الزعيم الخطَّابي أما الناحية الشرقية في البحر الأبيض المتوسط وهي القبائل الآتية بني شيكر بني سدل ، بني بوغافر ، مزوجة ، بني بويفرار ، كبدانة ، أولاد ستوت ، بني بويحيى ، المطالسة ، بني سعيد ، وعمالة هاته القبائل (الناظور) نعم يشرفني أن أذكر أمجاد هذه البلاد وكل هاته القبائل الصامدة المجاهدة في سبيل نصرة الإسلام والدولة المغربية ، ولا شك عندي أن جل المشاركين في هذا التجمع العظيم من أبناء هاته القبائل ، التي أرى لزاماً علي الحديث إليها عن شخصية عظيمة شرفت الجهاد والمجاهدين ، وسجلت في التاريخ العظمة والأمجاد ، وأعلنت بأهل الغيرة الإسلامية ، والنخوة المغربية ، الصفحات البيض في الشرف ، والدفاع عن الاستقلال والحرية والعزة . (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) إخواني الأوفياء الشخصية التي سأتحدث عنها فيما بعد في مناسبة أخرى تليق بعظمته هي شخصية الشريف النظيف المجاهد الشهير سيدي محمد أمزيان الشهيد الشهير دفين (ازغنغان) نعم سأخصه بكلمة خاصة تحيط بما أسداه لبلاد المغرب من جهود وجهاد لا ينسى ، سادتي وإخواني إن مجاهدي الريف منذ عرفوا وهم يدافعون عن شريعة الإسلام ، في أرض المغرب ضد الاستعمار البغيض ، مهما كان نوعه وشكله ، والعقيدة التي يعتقدونها وأن المجاهد لا محالة سيرحل إلى جنة

الخلد ، فهي الحقيقة التي جاءت في تقارير العلماء علماء الإسلام .

فهذا الشيخ الإمام التقي المجاهد الإمام ابن تيمية رحمه الله يقول : وقد أعلن رأيه قولاً وكتابة أن الأمة الكافرة ، إذا توخت العدل ، انتصرت على الأمة المؤمنة ! التي يضرب بعضها البعض ! وأن العالم المقوقع في خلواته يفضله العالم الذي يناصر المظلومين ، ويكافح الظلم ، ويعيش المشكلات والآلام مع الجماهير ، وكان هذا الكلام وهذا الافتاء جديداً ، على الناس ، ويقول أحد علماء الوقت هو الأستاذ المكافح (عبدالقادر العافية) . العلماء في الإسلام ليسوا زينة المجالس والمحافل ، ولا تسلية المآدب والمجامع ، ورجال أنس وفكاهة ، ولا (ديكور) بل هم حراس عقيدة ، وجنود أوفياء للذب على المثل العليا ، والقيم الرفيعة ، لأن عقيدة الأمة إذا لم يحرسها العلماء ذابت وتلاشت ، وإذا ضعفت العقيدة وتلاشى أثرها في النفوس ، تعرضت الأمة لعمليات الغزو الأجنبي المضاد ، وحل ما حل بالحصانة والمصاغة القابلة للاستعمار ، المؤدّية إلى الانسلاخ والذوبان . ومن هنا كانت مسؤولية العالم في الإسلام مسؤولية كبيرة ، وكان السكوت على المنكر بمثابة فتح ثغرة ، بل ثغرات ! في كيان الأمة ، لأنه كلما وقع التغاضي عن المنكر إلا وتعرضت الأمة للأخطار الماحقة !

فدور العلماء يوازي دور الجيش الذي يحمي الحدود ؛ لأن الأمة لا يمكن لها أن تكون سليمة الكيان ، إلا إذا كانت محمية الحدود . ومحمية القيم معاً ، فحماية الوطن مرهونة بحماية قيمه ، ومثله ، ولذلك فالكيان الحقيقي لا يحمي بالسلاح فحسب ولكنه يحمي بوجود الحصانة الفكرية ومناعة خلقية .

أيها الإخوان

إننا الساعة مجتمعون في الذكرى المجيدة لمرور مائة سنة على ولادة الزعيم العظيم الأمير محمد بن عبدالكريم الخطابي ، وسط مدينة اجدير ، مركز سكناه وتربيته وعائلته . ووسط قبيلة بني ورياغل الشهيرة بينكم في الأمجاد ، أما النظرة الشاملة الوفية لبلاد الريف عموماً ، دون تفريق أو تفضيل فالمعروف عنها هو الجهاد في سبيل شرف المغرب وشرف الإسلام وشرف الدولة منذ عهود التاريخ ، ولا نبعد كثيراً لنرجع إلى عهد السلطان العظيم المولى إسماعيل رحمه الله رمز الدولة العلوية نجده رحمه الله ينتقي كبار قواد الجهاد من بلاد الريف ، فهم المحررون بأطراف المغرب ، وقبور المجاهدين بطنجة وجل العائلات في طنجة من الريف ، من أبناء المجاهدين المحررين لطنجة من يد الإنجليز ، وزنقة القائد أحمد الريفي بتطوان تعرب عن عظمة الرجل ، وأنه من القواد الكبار لتحرير المغرب . وهكذا كانت القيادة الريفية المحررة لبلاد العرائش وبلاد أصيلة وتحرير المهدية (المعمورة) بقيادة القائد البقيوي .

إذاً من الضروري أن يقترن الجهاد والمجاهدون بالريف والريفيين ، والمتكلم الساعة بين ظهرانكم تشرف بالمساهمة في هذه الذكرى المجيدة . ذكرى مرور مائة سنة على ولادة الزعيم العظيم الأمير محمد عبدالكريم الرجل الذي تشرفت بلقياه وضيافته وحنوه وشريف عواطفه عدة مرات ! الرجل بيني وبينه صلات وثيقة ، ومواصلات كتابية حول العمل لتحرير البلاد ، وإنني إذ أمجد الرجل الذي انتقل إلى رضوان الله وجوار الصديقين من عباده أوصى الأبناء والأحفاد من بلاد الريف العزيزة أن تستمرّ هذه الروح الشريفة وراثية بينكم لا تصيبها نكسة ولا خمول ولا نكول .

موقف الأستاذ أحمد معنينو من
تعريب التعليم في المغرب

في عام 1964م انعقدت مناظرة علمية حول التعريب ، بغاية معمورة ، عندما قامت قيامة المغاربة بالمطالبة بالتعريب لكافة أبواب التعليم والإدارة ، وتنكرهم للغة الأجنبية التي أصبحت كأنها لغة الشعب ! وكل شعب يفقد لغته يفقد قوته ؟ وكل أمة لا تحترم لغتها لا تدوم ولا تستمر ، ومآلها الانهيار والاندثار ؟

ولقد تكونت اللجان التي يفوق عددها أربع عشرة لجنة ، كل لجنة تحت اسم خاص : ابتدائي ، منوع ، وثانوي ، وعالي . وكان عدد المشاركين يفوق ثلاثمائة شخص هم نخبة رجال التعليم من كل المستويات ، والكثير منهم درس باللغات الأجنبية خارج المغرب ! ولكن المطالبة بالتعريب حصل الإجماع عليها ! وكل لجنة قررت أن يُدَرَّسَ في المدارس الحكومية باللغة العربية ، على أن تعطى حصة أو حصتان للغة الأجنبية ، لأن المغرب دولة عربية ، ومنذ العهد الإدريسي والدول المتعاقبة كلها تعتمد وتسير في طريق التعريب وباللغة العربية ؟ وعندما حلت الحماية البغيضة وجدت المغرب معرباً ، وقطراً عربياً ، ودولة عربية ، واللغة العربية هي السائدة في كل مرافق الحياة ، ولكنه (أي الاستعمار) من

شأنه أن يتنكر للشعب المغربي ، ويعمل جاهداً للقضاء على مقوماته ، وجلبه للجانب الفرنسي ، لأن الدعوة الفرنسية تقول : فرنسا من وراء البحار ، يعني المغرب قطعة من فرنسا !؟

وكان وزراء التربية الأربعة (منذ الاستقلال) : محمد الفاسي ، عمر بن عبدالجليل ، عبدالكريم بنجلون ، والدكتور يوسف بلعباس ، كلهم حاضرون ، وكلهم غير مستعدين لمسايرة المطالبين بالتعريب في التعليم ! وقامت مناقشة حادة ، ومناظرة مزعجة ! وقلق . . وضجر . . واحتجاج ، ولم يجد هؤلاء الوزراء ما يدافعون به أمام التيار الجارف للمطالبة بالتعريب ؟

ومن بين المتدخلين كان الأستاذ معنينو ، ومما قاله : يا معالي الوزراء ، إن إجماع ممثلي التعليم باللجان لا يدع مخرجاً من التنفيذ اتخذ القرار بالتعهد ، ويتلوه واجب الوزارة اتخاذ موقف مشرف لها بتنصيب لجنة المتابعة .

– 3 –

شهادات

من ذكريات المناضل الريفي

محمد الحاج سلام أمزيان مع المجاهد أحمد معنينو

كتب المناضل محمد الحاج سلام أمزيان من منفاه الاختياري بالقاهرة إلى ولده جمال أمزيان سلسلة من الخطابات المطولة العميقة جاء في إحداها :



المناضل محمد الحاج سلام أمزيان

ولدي جمال

. . . . وتعال معي الآن ، إلى لون آخر من الوطنية ، ونوع جديد من رجال هذه الوطنية . وابدأ معك برائد متمنين لك أن تتعرف إليه فهو أبو الشبيبة الوطنية يوم كان للوطن شباب ، وهو أحد رواد الوطنية بالصدق

مع النفس وتقدير المسؤولية ، يوم كانت الوطنية بحاجة إلى رواد ، قبل أن تتحول إلى ساحة عرض الذات ، للدعاية الوطنية والعصر السياسي .

ولدي جمال . . .

تعرفت على عمك الحاج معنينو في فاس ، بعد الحرب العالمية الثانية ، بثلاث سنوات . . . بمناسبة زيارته لعاصمة العلم ومدينة القرويين . . . كنا في هذه الفترة من طلاّب هذه القرويين ، وكنا أيضاً من الشباب الواعي لواجبه الوطني بالاقتناع ، وكنا نعيش الصراع المفتعل بين الزعامات السياسية لا الوطنية ، وبخاصة وأن علال الفاسي كان قد أعادوه من الجابون بستارة النفي ، وليس لوطنية أو لمبدأ ، ولنا ثوابت تقصم ظهور المفترين على تاريخ الحقيقة . وكنا نحن شباب المغرب الشمالي والريف بخاصة قد اعتنقنا مبادىء حزب الشورى والاستقلال لا لتعصب أو عصبية ، ولا لمذهب أو مذهبية ، ولا بدافع طارىء أو إشارة من أحد . احتضناها لأنها هي نفسها التي سعى ويسعى بها العقلاء في دنيا الإنسان المتأمل لتحقيق الحق وإحقاقه ، ولأنها العلاج الذي يعيدنا إلى الحياة الكريمة . وكان في مقدمة زعمائنا المحليين من علماء القرويين . عالم ، فقيه ، وطني ، مؤمن بالله ، ومجاهد في سبيل الحق والواجب ، وهو الأستاذ عبد الواحد العراقي شهيد الحق في بداية المسلسل المأسوي الذي مارسه الحزبيون المتعنتون من عملاء غرباء ، وانتهازيين دخلاء على أرض المغرب والله يمهل ولا يهمل ؟

الحقيقة يا ولدي أننا في هذه الفترة كنا في قمة النشاط الوطني ، ويحق للقرويين أن تسجل هذه الفترة على أنها الأوج لهذا النشاط ، وبعده

تهاوت هي الأخرى وسقطت شهيدة تحت المغولية السياسية والعلمية والحزبية والاستعمارية . . . وكنت أقيم في شقة مستقلة ، وليس في غرفة بإحدى المدارس المعروفة بفاس . الأندلس والصفارين والشراطين والعطارين والعنانية . . .فجائني أحد شبابنا السوي ابن قاضي بلدنا في ذلك الوقت . الحسن بن علال ، يقول لي .

ـ هيّا بنا

ـ إلى أين يا مغامر ؟

ـ إلى محاضرة ، سيلقيها أحد أبرز مؤسسي حزب الشورى والاستقلال . الحاج أحمد معنينو ، وكل الزملاء هنا في الانتظار .

ـ على بركة الله .

كان الاحتفال في دار ، وكان المحتفلون جمهوراً من الطلاب والطالبات ، والعلماء والشيوخ ومسؤولي حزب الشورى والاستقلال ، والمواطنين . وكم كانت سعادتنا عظيمة ونحن وسط أكثر من ألفي مستمع ، في القاعات الفسيحة ، وفي الساحة ، وفي الشارع ، وهذا المجاهد الأمين يقنبل الزمان الفاجر بالحق الوطني والتضحية الوطنية وشهداء هذه الوطنية ورجالها المنفيين والمبعدين ، وكان من بينهم لسنوات طويلة بتطوان وغير تطوان .

موضوع المحاضرة رفض أن يلتزم بحدود مرسومة ، لأن الثوري لا يتقيد بالحدود ، أما لماذا ؟ فلأن الحرية لا تعرف الحدود . لذلك مضى يدين الزمان في انتفاضة ، ويرحب بهذا الزمان في وثبة ، ويتسائل مع الزمان نفسه حول حركة يريد استفساراً مقنعاً لأنه المسؤول أمام التاريخ

ولا يرضى أن ترتعش ريشة هذا التاريخ بين يديه النظيفتين .

وحتى يثير الحماس الجماهيري بوضع هذا الاسم في موقعه من التاريخ ، لا بد وأنه لا يعرف التبعية في مفاهيم الوطنية التي يطرحها في أسواقنا تجار مفلسون أصلاً وفصلاً ومالاً بالتأكيد . لأنها الوطنية ليست بذلة بمقاس معين لزيد فاسي أو لعمرو ملاحي .

إذن . . هذا الحاج معنينو لا بد وأنه من المؤمنين بالله أولاً ، وبالوطن ثانياً ، وباعتراف بحقوق الآخرين في هذا الإيمان ثالثاً . . . ومن هنا كانت البداية . بداية تعرفنا على الحاج سيدي أحمد معنينو . مغربي ، وطني ، سليم من العقد ، كريم يتمتع بالشهامة الأثيلة . هذا ما بدأنا نستلخصه من المعلومات الوطنية عنه ، وكان طبيعياً أن نصلي لله أن يحفظ لنا أحمدنا المعنينو ، نحن شباب الشورى والاستقلال والكرامة ، أمجاد أنجبها وطننا . خلقاً ووعياً وعلنية وتعليماً وعلماً وثقافة ، وحماساً لبناء الحاضر والمستقبل ، لولا طاعون أعوان حزب علال ، أنجس ما قذفته الظروف المظلمة بالجهل ، فكان ما كان في وطننا الحبيب . . . ولا يزال يكون . . . ولا أظنه عملاً يفيدهم في شيء .

ولدي جمال

تلاحظني أقفز بين حين وآخر ، بعيداً عن الموضوع ، ولكن الحقيقة أن الأحداث تتفاعل أمامي وتتدافع صورها ومشاهدها فإذا زعزعها بالتسجيل وهي الأخرى من نفس مادة الموضوع ، وما عليك إلا أن تتابع المأساة من مختلف الزوايا ، وبخاصة وأن صاحب رسالة اليوم الحاج أحمد معنينو من ضحايا هذا السرطان الحزبي العلالي البركوي الاستعماري

الصهيوني الإلحادي . . .

نعود إلى المحاضر . . . وهو يواصل الإلقاء بنبرات الذي يحزن على الماضي القريب ويتفاءل بالمستقبل ، ولو أن نظراته بين حين وحين تبعث إلينا بشعاع يتحول أمامنا إلى حروف ، نقرأها فإذا هي . خوفي من المستقبل المجهول قائم ، ولا أكون وحدي مسؤولاً عنه .

ولكن الشباب ، كان يعرب عن فرحته بأسلوب الرافض لكل شيء ، لأن كل شيء هذه يرفسه تحت قدميه ولا يبالي في هذه الفترة «الذهبية» بوطننا الحبيب ، فأين أنت في هذه الفترة ؟ ما بال هذه التعاسة لا تريد أن تختفي ؟ تعاسة نفسية تعاسة علمية ، تعاسة اجتماعية . أمن طيش الحزبية الدخيلة كل هذا ؟ أم تراها من الرواسب ؟ وما نوعية هذه الرواسب ؟ ولماذا هي رواسب ؟ ثم . . . ماذا بعد ؟

أنهى محاضرته ، وطلب من حفيد الأمير عبدالكريم الخطابي . الحسن بودرة أن يلقي كلمة بالمناسبة عن خاله المنتظر عودته إلى وطنه من منفاه . . . الحسن بودرة يستجيب دعوة الداعي .

ومضى الحاج أحمد معنينو ، في محاضرته التاريخية ، الوطنية ، الثورية ، السلمية ، التحريرية الشعبية ، الشبابية ، حتى لاحظناه يتنحنح قليلاً ويلقي في اتجاهنا نظرة كان لها أكثر من معنى ، ويتقدم خطوتين . . . فيصدح .

عبدالكريم ، يا سادة . بن عبدالكريم . . ذلكم البطل الذي لا ينساه تاريخ البطولة ، لا ينساه المخلصون للحرية والشورى . . . و . . . و . . .

وإذ كنا نحن الشباب الشورى نعيش الرابطة الروحية والثورية بيننا وبين هذا العبد كريم ، فإننا فوجئنا بهذا الاسم يتردَّد في هذه الساحة ،

وأين ؟ في فاس . . . وعبدالكريم أو ابن عبدالكريم ، اسم غيرُ مرغوب فيه من الحزب الفاسي ! هكذا كانوا يقولون لنا يا ولدي جمال . حزب الاستقلال فاسي ، وزعيمه زدي علال فاسي وما سوى ذلك باطل ؟ وعلى الجميع أن ينبطحوا لأن القرويين فاسية ! والإسلام فاسي ! والوطنية فاسية ! وزدي علال قاهر الاستعمار هو قهري فاسي !

فما بال هذا الذي يتحدث عن عبدالكريم في بلد يعادي أهله هذا الاسم فضلاً عن الترحيب به أو الترويج له كعملة لها قيمتها القيمة بالرصيد الثابت ؟ لكن الوطني الصادق مع نفسه سيدي الحاج أحمد معنينو ، لم يكن يهمه البلد وهو يؤمن بأن الحرية لا تعترف بالبلد ، وبأن رواد الحرية نسيم الحياة ، فلماذا لا يتحدث عن ناموس الوجود وينتظر موافقة الكافرين بالحرية إلا إذا كانت لهم وبالفوضى ؟ هنا ، ها هنا . . . تزحزحت القاعات ، وترنحت الساحات ، بالتصفيق والهتاف بذلك الاسم الذي يبعث الأمل في النفوس ، حتى بمجرد ذكره على اللسان العربي أو العجمي ، إن لم يكن مصاباً بلوثة علالية ! وعلة فاسية ، وليسمح لي التاريخ الجانب الآخر ، فأنا عدسة تاريخ الحق والحقيقة ، ولا أستطيع نقل صورة مغايرة وليس بإمكاني أن أستعين بالديكور والمكياج ! هذه حقيقة عشناها في القرويين سنوات وليس أياماً وأسابيع ، ومن أساتذتنا مع الأسف البالغ الخطورة ، إلا جماعة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة .

ولدي جمال

كنا نعيش فترة عصبية خطيرة بظاهرة العنصرية أو النعرة التفوقية

على ضفتي وادي فاس أو الوادي الحار ، كما يسمونه ، ولست أدري من أين تأتيه الحرارة إن لم تكن من أفران التعصب الأعمى والعصبية البغيضة ، وكلها تؤدي إلى خراب الذمم والأخلاق والمجتمع وهذا ما حدث للمغرب ولفاس ، والبقية بذيولها قادمة ، إن لم يعد الجميع إلى طريق الله ، طريق الحق .

ولقد تساءلنا بطبيعة الحال . حين يتحدث هذا الرجل العظيم بنبله وعلمه ووطنيته بهذا الحماس الثوري ، من هذا العبدالكريم الرائد ، لا بد وأنه لا يعرف العصبية ولا القبيلة ، فلماذا ؟

ويصول بصولته المنطقية ، ويجول بجولته البلاغية ، فهو من هواة المنطق والبلاغة ـ علمي المنطق والبلاغة ـ في وسطنا الطلابي . أما نحن بالمستوى العام فقد اتجه تفكيرنا إلى الحصول على المزيد من المعلومات عن هذا الذي حاضرنا ، بعد أن قررنا أن نتخذه معلماً ، مربياً ، صديقاً ، زميلاً ، رفيقاً ، وشاء الله أن يكون ونكون كذلك . . . وكانت هي بداية معرفتي بعمك الحاج أحمد معنينو يا ولدي جمال . . أودعك على أمل اللقاء مع عمك معنينو في مراسلات تالية إن شاء الله .

القاهرة 1962/3/15
والدك الوفي . أمزيان

تحية من المناضل محمد أمزيان من بغداد
إلى المجاهد محمد الحاج أحمد معنينو

سيدي المجاهد الكريم الحاج أحمد معنينو

بسم الله الذي هداني وأنا أتصفح جريدة (المحرر) الصادرة في باريس بتاريخ تاسع الجاري للعثور على أنكم قد حصلتم على (جائزة الاستحقاق الكبرى) التي يقدمها سنوياً صاحب الجلالة للمتميزين في العطاء الوطني . فصليت لله شكراً بعد أن عشت سنوات وأنا لا أعرف شيئاً عنكم يا رمز الحرية والكرامة والشهامة والعطاء ؟ وأنت المعلم والأستاذ والمربي والرائد والرصيد الذي تنتظره الأجيال من رعيل جيلنا الذي شاء له القدر أن يعيش أقسى وأخطر مرحلة تاريخية في مواجهة الحقد الصليبي والتحكم الاستعماري وطغيان أعداء الله والإسلام فكان التاريخ جديراً بتسجيل جهادكم الصادق وتضحياتكم المثلى بمعاناة لا يتحملها إلا من اصطفاه الله فهنيئاً لك سيدي بالجائزة الملكية وأنت لها أهلٌ فتضاف إلى أعمالكم الجهادية في ميدان الواجب الوطني التربوي التعليمي الأخلاقي والأناني قبل كل شيء .

سيدي المجاهد

لقد فصل الزمان بيننا بسنوات وقبل يومين وأنا أرتّب ملفات مراسلات الأحبة في سجل يومياتي الحاملة لعنوان (بعد ثلث قرن عرفت الحقيقة) وقفت طويلاً مع مراسلاتكم ودمعت عيناي باستعراضي

لمواقفكم ولإرشاداتكم ولمواساتكم وتنهدت كثيراً للغيبة الطويلة التي جعلتني أجهل كل شيء عنكم حتى جاءني صباح اليوم حامل صحيفة (المحرر) ووجدت فيها ما حول دموعي إلى عبرات الفرحة والبهجة وقررت الكتابة إليكم على الفور لأؤكد حبي لك أيها الكريم بالعطاء كل العطاء من أجل الحق ، والحق من أسماء الله . واعذرني يا سيدي إن تقاعست عن مراسلاتك وأنا كنت ولا أزال أعاني من القلب وأمراض أخرى ومن متطلبات المعيشة ونحن كما تعلم تحت الحصار الغربي الدولي العالمي من سنوات لا مثيل له في تاريخ البشرية على الإطلاق وتضاعفت معاناتي من الموقف الذي مارسه معي أهلي وأسرتي وأحبابي في وطني الحبيب وكأنهم لا يسمعون ولا يقرأون . . ولا يعرفون ما نحن فيه وأنا بالتحديد لا أهل لي هنا ولا من يسأل ، وبغداد تستقبل يومياً وفوداً ومبعوثين من الوطن العربي ومن العالم للبحث عن أهلهم وذويهم ويواسونهم فتضاعفت معاناتي إلى ما فوق الطاقة وما كان لهم أن يفعلوا ما يسيء إليهم قبلي ولكن لله في خلقه شؤون .

وبعد ـ فأجدد تهاني الصادقة لك أيها المجاهد الكريم وسأواصل الكتابة إليك بحول الله وقوته وتحيتي إلى الصديق الكريم الدكتور زكي مبارك .

بغداد 1993/9/9

محمد أمزيان

الحاج أحمد معنينو معلمي الأول
ومشجعي على قول القصة
من رواد الحركة الوطنية وأبطالها
المشغوف بحب وطنه وبحب مدينة سلا دار أجداده

بعد تيه عشر سنوات بين الكتاتيب وصلت إلى المكتب الإسلامي ، بالزاوية القادرية (مدرسة النهضة من بعد) ، أقول المكتب ولا أقول المدرسة ، لأن فرنسا أم العلم والمعرفة ، كانت تحرّم علينا اسم المدرسة تحريماً خبيثاً ، في بلادة لا تحسد عليها . . . وهكذا وصلت ـ بسلامة الله ـ للزاوية / المدرسة ، وجلست في جملة من جلس على الحصير ، محلقين حول معلمنا الجالس على الكرسي السيد الحاج أحمد معنينو .

ولعل أول انطباع أخذته ورسخ في الذهن ، وما زال حتى الآن هو الحماس في تبليغ الدروس ، ودع عنك الأساليب البيداكوجية ، فأنا المعلم من بعد وحتى الشهر الماضي (يونيو 1996) لا أعترف بدرس يبلغ بفتور ولا مبالاة . . . لا بد من جدية وصرامة ورفع صوت ، فتأدية الرسائل السامية لا تكون بالخمول والتلاعب والكذب والتضليل ، وقلب الصلاح فساداً في هذا الميدان المقدس ، هو فساد لافساد بعده ، فأشهد أن السيد معنينو كان جاداً ملتزماً بواجبه كل الالتزام ، وإني سعيد بأن هذا أول درس عملي تلقيته ورسخ ولم يزل ولن يزول أبداً .

علمت يومئذ من خالي صديق هذا المربى أنه سلم في مداخيل

تجارته ليكون معلماً ، والاجر هناك أفضل وهنا أقل ، ولكن تبين من بعد أن هؤلاء الرواد في قناعة الصوفيين ، وفي طهارتهم ، وفي تألفهم وتوادهم أيضاً ، إنهم يتهيأون لأمور عظيمة ، كما يتهيأ الجنود لساحة الحرب ، إنهم يعلمونهم في تداريبهم العسكرية الكّر والفرّ ، أما روادنا فيعلمون أن الكر متواصل بلا فرار ، وأن أولئك يتقدمون مسلحين فيقتلون أو يُقتلون ، أما هم فمحاربون عُزل مقدامون بلا نكوص ، ومعروف أن الأعداء بعد أن فلّ أبطالنا شجاعتهم وأسلحتهم بالجبال والوهاد . . . جاءوا ليظهروهما في الحواضر العارية من كل وقاية ، وبكل حقد في الانتقام . فكان الاعتقال إثر الاعتقال ، والنفي إثر النفي ، والإهانة البالغة والتعذيب المهين ، إنما لا استسلام . . دروس وعيناها وتأثرنا بها ولها ، وعجزنا عن المجاراة .

يظن ــ وبعض الظن مغالاة ــ أن أخذ الصغار بالحسنى ، بعد جحيم الكتاتيب ، هو من ابتكارات العصر التي جاء بها المعلمون الأجانب عنا وعن ديارنا حقاً وصدقاً ، ولكن هذا المربي كانت صلته بهم مقطوعة ، فهي خطة منه ملهمة ، ولهذا كانت لنا في حلقته قصة بين الحين والحين ، وزاد فطلب أن نحكي حكايات من عندنا ، فكنت المرشح الأول والوحيد ، فكان أن أوقفني على كرسيه ، وأخذ يستمع في جملة المستمعين ، وكان ضاحكاً مع الضاحكين ، بل إنه ضحك حتى دمعت عيناه ، وتقديراً لنبوغ التلميذ محمد اشماعو الصغير بين يديه في تلك السنة ، فلقد اختار لي هو ــ بلا شك ــ وعن قرب جائزتين ، الأولى سيرة الرسول الأكرم ، وأنعم بها جائزة ، واختار لي

الجزء الثالث من الموسوعة القصصية الخالدة (ألف ليلة وليلة) ، وكان أول اتصال لي مع القصة المكتوبة ، وانكببت لما لا يحصى من الأيام على مطالعة هذا السفر الخالد ؛ وتلك بذرة القصة الأدبية عندي والتي كان منها ما كان .

والذي ما زال ماثلاً أمامي منذ تلك السن الصغيرة إلى سن الشيخوخة هذه ، هو التقديم الذي قدمني به للحاضرين في حفلة عيد المولد ـ حفلات عيد المولد التي ابتكرها هؤلاء الوطنيون الأماجد تحدياً للاستعمار ـ . . . لقد قال : إن هذا الطفل بمثابة رجل ، كلمة مبشرة باعثة على الفخر عند ذلك الصغير ، وهي كلمة طيبة من جملة الكلمات التي لا أنساها ما حييت ، إذ هي من الكلمات الطيبة الخالدة عندي . . . فللمعلم الرائد خالص الشكر ، وليزد الآن اطمئناناً بأن ابنه الروحي هذا كان عند حسن الظن دائماً ، وفي كل الأحوال وفي كل الظروف وفي كل المحطات ، ولا خلل ، توفيق من الله العلي العظيم ، فكما علّمني سيادته علَّمت ، وكنت في تعليمي جاداً قاصداً ضابطاً لأموري ، وزدت فتوليت المهام فقدرت عليها ولم يختلّ منها شيء ، وحملت القلم فكان وسيلتي ومنفذاً لقول ما يجب أن يقال في حق أمتي المجيدة ووطني الغالي وبلدتي الملهَمة الملهِمة ، واليوم ها نحن زمرة من الكتاب الأباة الأعزاء الواثقين ، العاملين الباذلين ، في ظل كرامتنا ووفق مبادئنا وكامل حريتنا . . . فالأستاذ الواعي ساهم بلا شك في الحركة الفكرية . . .

لم أحضر التحركات الأولى للأستاذ في الميدان الوطني ، الميدان

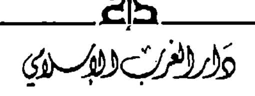
الذي كان فيه بطلاً ثابتاً جهيراً بلا منازع ، ولكنني شاهدت أيام المحنة المغربية الكبرى بعد نفي الملك العظيم ، شاهدت بعيني وقوف رجال الشرطة على باب داره بحومة (سيدي مغيث) وقد جاءوا لاعتقاله ، لقد ثبت بالدليل أن الرجل الذي ناضل بالدعوة للنضال السياسي ، وساهم مساهمة فعالة في النضال المسلح ، (قول وفعل هو الإسلام الرفيع) كما قيل ، وهذه مزية عظمى يمتاز بها على الكثير من الرواد الأفاضل ، سواء في مدينته أو في المدن الأخرى ، جازاه الله عن أمته خيراً . . .

من كتاب وجوه نضره

محمد أحمد اشماعو

الفهرس

أشرفت على طبعه



بيروت لبنان

لصاحبها الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء ، بناية الأسود

تلفون: 009611-350331 / Tel: 009611-350331 خليوي: 009613-638535 Cellulaire: 009613-638535

فاكس: 009611-742587 / Fax: 009611-742587 ص.ب. 113-5787 بيروت ، لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.: 113-5787 Beyrouth, LIBAN